The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Oussoul Eddine
Master of Interpretation and Sciences of Quran

الجامعـــــــة الإســـلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــة أصـــــول الديــن
ماجســتير تفســير وعلــوم قرآن

أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل

The Methods of the Holy Quran to Averse Vices

إِعدَادُ البَاحِثِ
إسلام فتحي عبدالفتاح حمودة

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
رياض محمود جابر قاسم

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة.

فبراير/2019 م – جمادى الثانية/1440هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل

Qoran methods in the Alienation from the vices

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	إسلام فتحي عبدالفتاح حمودة	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2019/1/9	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2019/01/02م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **إسلام فتحي عبد الفتاح حمودة** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل

Koran methods in the Alienation from the vices

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 24 ربيع الثاني 1440**هـ الموافق **2019/01/02**م الساعة الثانية عشرة مساءً، في قاعة **مبنى الكلية** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. رياض محمود قاسم	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. عبد السلام حمدان اللوح	**مناقشاً داخلياً**	....
د. طارق أحمد عقيلان	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف: Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس: ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ع	اللغة	3157301	الرقم العام للنسخة

التاريخ: 7 / 2 / 2019

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

الجامعة الإسلامية بغزة The Islamic University - Gaza

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ إسلام فتحي عبدالفتاح حمودة

رقم جامعي: 120142557 قسم: التفسير وعلوم القرآن كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب	إدارة المكتبة المركزية
عنه / عبدالفتاح فتحي حمودة [توقيع]	أ. محمود عبد الرحمن [توقيع]

77

ملخص الرسالة

تهدف الدراسة إلى بيان تنوع أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل، وإبراز بلاغة القرآن الكريم في تنوع هذه الأساليب، حيث لم يقتصر على لون واحد في التنفير من الرذائل.

وقد اعتمد الباحث القواعد المنهجية في الرسائل العلمية، ولتحقيق هذا الهدف قسم الباحث الرسالة إلى مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث، وأما التمهيد فقد اشتمل على تعريف الأساليب في اللغة والاصطلاح، وتعريف أسلوب القرآن الكريم، وكذلك تعريف الرذائل في اللغة والاصطلاح، وأما فصول الرسالة وموضوعاتها فقد تم اختيار أهم النماذج، وأكثرها دلالة في إبراز غرض الرسالة، وأكثرها شمولا لآيات القرآن الكريم، وما ذكر منها يدل على ما لم يذكر.

وينبغي على الدعاة التنويع في أساليب الدعوة إلى الله تعالى في النهي عن المنكرات، والاستفادة من أساليب القرآن الكريم، فيختلف الخطاب حسب حال المدعو، وحسب خطورة موضوع الدعوة، فكلما زادت خطورة الموضوع تزداد الحاجة للتنفير منه بأساليب مختلفة، مع الجمع بين الأساليب.

أهم نتائج الدراسة:

1- تنوع أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل.

2- اجتماع أكثر من أسلوب في التنفير من بعض الرذائل كما في الخمر مثلا، وذلك للدلالة على شدة التنفير منها.

3- الرذائل التي نفر الله تعالى منها تشمل الجانبين العقدي والسلوكي.

أهم توصيات الدراسة:

1- يوصي الباحث بدراسة أساليب القرآن الكريم في الترغيب في الفضائل.

2- دراسة أساليب السنة النبوية في التنفير من الرذائل.

3- دراسة أساليب السنة النبوية في الترغيب في الفضائل.

Abstract

This study aims at explaining the diversity of the methods of the Holy Quran for the aversion of vices, and highlighting the eloquence of the Holy Quran in the diversity of these methods which don't belong to one category.

The researcher the scientific methods of writing theses and divided this study into an introduction, a preface, seven chapters, and a conclusion.

The introduction explains the importance of the subject, the reason for its selection, the objectives of the study, the book review, methodology, and research plan. The preface included the definition of the word 'methods' lexically and terminologically, the definition of the Holy Quran methods, and the definition of vices lexically and terminologically. Regarding the chapters and topic of this thesis, the most important models and those containing verses of the Holy Quran were chosen to show the objectives of this thesis.

Muslim scholars should diversify in the methods of calling people to the religion of Allah by denouncing vices, and benefiting from the methods of the Holy Quran. The discourse should vary according to the case of the propagated person and according to the importance of the topic of the Islamic call.

The most important findings of the study:

1. The methods of the Holy Quran for the aversion of vices are diverse.
2. There is more than one method for aversion of some vices as in the case of wine, to indicate the severity of aversion.
3. The vices that Allah averses people from include both doctrinal and behavioral aspects.

The most important recommendations of the study:

1. The study recommends studying the methods of the Holy Quran for encouraging virtues.
2. The study recommends studying the methods of Sunnah for the aversion of vices.
3. The study recommends studying the methods of Sunnah for encouraging virtues.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[النور :35]

ألإِهدَاْءُ

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي وأمي الحبيبين اللذين كانا بعد الله تعالى السبب في وجودي وفي تربيتي وتنشئتي على ما يحبه الله تعالى ويرضاه.

إلى زوجتي الغالية وأولادي الأعزاء وفاء وفتحي وبلال،،،

إلى أخوي الكريمين، وإلى أخواتي الكريمات، وإلى أزواجهم وأبنائهم،،،

إلى روح الشهيد العالم الدكتور فادي البطش "أبو محمد" رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

إلى أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي،،،

إلى عمي أبو أحمد وعمتي أم أحمد وأبنائهم،،،

إلى أساتذتي، ومربيي، وكل من له فضل علي،،،

إلى زملائي وإخواني وأحبابي.

إلى طلاب العلم ومحبيه.

شكرٌ وتقديرٌ

الشكر والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، على نعمه الجليلة، وعلى نعمة الإسلام، وعلى أن وفقني في اختيار هذا البحث وكتابته، فهو أحق من حُمد وأحق من عُبد.

ثم الشكر لأهل الفضل الذين كان لهم من الفضل علي، فالشكر أولا لوالداي الحبيبين، أبي وأمي، فقد كانا داعمين لي في جميع مراحل حياتي، وفي كل أموري، ومنذ أن ولدت، بل وقبل أن أولد، وحتى بعد ما كبرت، فجزاهم الله تعالى عني خير الجزاء.

ثم الشكر لزوجتي الغالية التي كانت السند لي في حياتي، فقد أعانتني على كتابة هذه الرسالة، وفي تربية الأبناء، فجزاها الله تعالى عني خير الجزاء.

والشكر كل الشكر لفضيلة الأستاذ الدكتور/ رياض محمود قاسم، الذي شرفني بإشرافه على هذه الرسالة، فقد كان له الفضل في تشجيعي الدائم منذ أن كانت الرسالة فكرة، فقد جاد علي في هذه الرسالة بملاحظات نيرة، وأفكار قيمة، فزاد ذلك من قيمة الرسالة، حتى خرجت بما هي عليه الآن، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل من:

فضيلة الأستاذ الدكتور: عبدالسلام حمدان عودة اللوح   المناقش الداخلي.

فضيلة الدكتور: طارق أحمد محمد عقيلان   المناقش الخارجي.

اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة وتصويب أخطائها، وتقويمها.

والشكر موصول إلى كل من له فضل علي، من أساتذة ومعلمين ومربين، فجزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء.

الباحث

إسلام فتحي عبدالفتاح حمودة

فهرس المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل صلاة وأتم تسليم، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أكرم الله هذه الأمة المحمدية بالقرآن العظيم الذي هو دستور هذه الأمة، ومنهاج حياتها المستقيم، وكما أن القرآن لم يترك خيرا إلا ودلنا عليه، كذلك لم يترك شرا إلا وحذرنا منه، فبيَّن الله تعالى فيه الرذائل، وحذر منها عباده المؤمنين، ونهاهم عنها بأساليب متعددة.

والمسلم يجب عليه أن يكون وقافا عند أوامر الله تعالى ونواهيه، فيأتمر بما أمر الله تعالى به، وينتهي عن ما نهى الله تعالى عنه، وينفر مما نفر الله تعالى منه، فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في فعل المعاصي والذنوب مهما صغرت أو كبرت، فهي طريق إلى غضب الله تعالى وسخطه والعياذ بالله تعالى.

والرذيلة التي يقصدها البحث في القرآن الكريم هي كل ما نهى الله تعالى عنه، وأمر باجتنابه، أو حذر منه، أو غير ذلك على ما سيأتي من أساليب القرآن الكريم من قول أوصفة أو حال.

وعلى المسلمين أن يستفيدوا من أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل، والمعاصي والذنوب وبيان أثرها، في أبلغ بيان وأوضحه وأفصحه.

فقد تنوعت وتعددت أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل: فتارة بالنهي، وتارة بالأمر بالاجتناب، وتارة بالتشبيه، وتارة بضرب الأمثال وغير ذلك من الأساليب، فجاء هذا البحث ليبين نماذج من أساليب القرآن الكريم في التنفير من تلك الرذائل، والموسوم ب "**أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل**".

أولا: أهمية الموضوع:

1- يستمد الموضوع أهميته من تعلقه بالقرآن الكريم.

2- حاجة المجتمع المسلم المستمرة إلى تنفير الناس من الرذائل والوقوع فيها.

3- الموضوع يلامس الحياة العملية للناس وسلوكهم وتصرفاتهم.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

1- افتقار المكتبة الاسلامية إلى دراسة توضح أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل.

2- مواجهة الرذائل والمعاصي التي يقع فيها الناس من خلال اتباع أساليب القرآن الكريم.

3- التأكيد أن القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة في تحديد الرذائل وسبل مواجهتها.

4- تحذير الناس من الوقوع في الرذائل لأن عواقبها وخيمة في الدنيا والآخرة.

ثالثا: أهداف البحث:

1- خدمة القرآن الكريم في تبيينه وتوضيحه وبيان عظيم فوائده.

2- بيان تعدد الوسائل القرآنية في التنفير من الرذائل.

3- التحذير من الوقوع في الرذائل.

4- إثراء المكتبة الإسلامية بهذه الدراسة القرآنية.

رابعا: الدراسات السابقة:

بعد البحث المستفيض في الشبكة العنكبوتية بشكل عام، وفي المكتبات الالكترونية للجامعات الفلسطينية والعربية بشكل خاص، لم أعثر –حسب علمي واطلاعي- على رسالة علمية محكمة تناولت موضوع أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل، بل هي عبارة عن كتب تتحدث عن أساليب القرآن البلاغية بشكل عام، ولا تبرز الفائدة من هذه الأساليب القرآنية في التنفير من الرذائل، وقد تناولت كتب أصول الفقه هذه المسائل من جانب دلالة هذه الأساليب على الأحكام المستنبطة منها، وهي التحريم والكراهة، من دون إبراز الأوجه البلاغية لهذه الأساليب.

خامسا: منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي.

سادسا: خطوات البحث:

1- جمع نماذج من الأساليب التي تناولها القرآن الكريم في التنفير من الرذائل وذكر أمثلة عليها.
2- كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، وعزوها إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية في متن الرسالة، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين قوسين مزهرين.
3- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة.
4- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم موضوع البحث، وعزوها إلى مصادرها، مع ذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين قوسين هلاليين.
5- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
6- توضيح الكلمات الغريبة من خلال المعاجم اللغوية.
7- توثيق النصوص المنقولة في الحاشية، مبتدئا بذكر اسم الكتاب ، فاسم شهرة المؤلف، فالجزء إن وجد، فرقم الصفحة، وأما التعريف الكامل بالكتاب فذكرته في فهرس المصادر والمراجع.
8- في حال الاقتباس الحرفي، وضعت النص بين علامتي تنصيص، أما في حالة الاختصار أو الاقتباس بالمعنى، فلا علامات تنصيص وأشرت في الحاشية بلفظ "يُنظر".
9- عمل تراجم مختصرة للأعلام، وكذلك البلدان والأماكن غير المشهورة في الحاشية إن وجدت.
10- عمل فهرس المحتويات في مقدمة الرسالة، وأما فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الآيات القرآنية، وأطراف الأحاديث النبوية، والأعلام، ففي نهاية الرسالة.

سابعا: خطة البحث:

قسمت الرسالة إلى مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمة.

المقدمة

واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهجية الباحث، وخطوات البحث، وخطة البحث.

التمهيد

التعريف بعنوان الرسالة

أولا: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا.

ثانيا: تعريف الأسلوب القرآني.

ثالثا: تعريف الرذائل لغة واصطلاحا.

الفصل الأول

التنفير بأسلوب الأمر بالاجتناب والنهي عن القرب ونسبة الفعل للشيطان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الأمر باجتناب الفعل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاجتناب لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الأمر باجتناب الفعل.

المبحث الثاني: أسلوب النهي عن القرب من الفعل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرب لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على النهي عن القرب من الفعل.

المبحث الثالث: أسلوب نسبة الفعل إلى الشيطان.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نسبة الفعل إلى الشيطان.

الفصل الثاني

التنفير بأسلوب الذم بألفاظ الذم والوصف بالرجس واللعن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب ذم الفعل بألفاظ الذم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على ذم الفعل بألفاظ الذم.

المبحث الثاني: أسلوب وصف الفعل بالرجس.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرجس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على وصف الفعل بالرجس.

المبحث الثالث: أسلوب جعل الفعل سببا للعن.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اللعن لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للعن.

الفصل الثالث

التنفير بأسلوب الوصف بالخسران والخيبة والحرمان من الفلاح والتمثيل بصور تنفر منها النفوس

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الاول: أسلوب الوصف بالخسران.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخسران لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الوصف بالخسران.

المبحث الثاني: أسلوب جعل الفعل سببا للخيبة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخيبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للخيبة.

المبحث الثالث: أسلوب جعل الفعل سببا في الحرمان من الفلاح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفلاح لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا في الحرمان من الفلاح.

المبحث الرابع: أسلوب التمثيل للفعل بصور تنفر منها النفوس.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التمثيل لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على التمثيل للفعل بصور تنفر منها النفوس.

الفصل الرابع

التنفير بأسلوب النهي بصريح النهي والتحريم والتأثيم والنهي بمادة (نهى)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الإتيان بصريح النهي (لا تفعل).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النهي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على النهي الصريح بصيغة (لا تفعل).

المبحث الثاني: أسلوب الإتيان بجانب الفعل بمادة التحريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحريم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية الإتيان بجانب الفعل بمادة التحريم.

المبحث الثالث: أسلوب نسبة الفعل إلى الإثم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإثم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نسبة الفعل إلى الإثم.

المبحث الرابع: أسلوب النهي عن الفعل بمادة (نهى).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النهي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على النهي عن الفعل بمادة (نهى).

الفصل الخامس

التنفير بأسلوب بيان العلة وجعل الفعل سببا للحد والعقوبة الآجلة و المقت

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب بيان العلة من النهي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العلة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على بيان العلة من النهي.

المبحث الثاني: أسلوب جعل الفعل سببا للحد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا لحد.

المبحث الثالث: أسلوب جعل الفعل سببا للعقوبة الآجلة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقوبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للعقوبة الآجلة.

المبحث الرابع: أسلوب مقت الفعل عند الله تعالى.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المقت لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على مقت الفعل عند الله تعالى.

الفصل السادس

التنفير بأسلوب عداوة الله ومحاربته والاستبدال وقصص الأمم السابقة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب جعل الفعل سببا لعداوة الله ومحاربته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العداوة والمحاربة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا لعداوة الله ومحاربته.

المبحث الثاني: أسلوب جعل الفعل سببا للاستبدال.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستبدال لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للاستبدال.

المبحث الثالث: أسلوب الوعظ بقصص الأمم السابقة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الوعظ بقصص الأمم السابقة.

الفصل السابع

التنفير بأسلوب نفي المحبة والمنع من الهداية والمنع من القبول وحبوط العمل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب نفي محبة الله تعالى للفعل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحبة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نفي محبة الله تعالى للفعل.

المبحث الثاني: أسلوب جعل الفعل مانعا من الهداية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الهداية لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل مانعا من الهداية.

المبحث الثالث: أسلوب جعل الفعل مانعا للقبول.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القبول لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل مانعا للقبول.

المبحث الرابع: أسلوب جعل الفعل محبطا للعمل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحبوط لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل محبطا للعمل.

الخاتمة

وتشمل على:

أولا: أهم النتائج.

ثانيا: أهم التوصيات.

التمهيد

التعريف بعنوان الرسالة

التمهيد

التعريف بعنوان الرسالة

أولا: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحا.

1- الأسلوب لغة:

الأسلوب هو: الوجه، والمذهب، والطريق، والفن، وكل شيء امتد فهو أسلوب، والطريق الممتد: أسلوب، والسطر من النخيل يقال له أسلوب، ويقال أخذ في أساليب من القول أي أفانين منه، ويقال سلك أسلوبه: أي طريقته.[1]

2- الأسلوب اصطلاحا:

هو: "الضربُ مِنَ النظم والطريقةُ فيه"[2] ويعرف أحمد الشايب الأسلوب بتعريفات منها: هو فن من الكلام يكون قصصًا أو حوارًا، تشبيهًا أو مجازًا أو كناية، تقريرًا أو حِكمًا وأمثالا، فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير، ومنها: هو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، وهذا التعريف خاص بالأسلوب الأدبي، ومنها: هو طريقة التعبير؛ لأن الفنون الأخرى لها طرقها الخاصة في التعبير يعرفها أصحابها، وكذلك العلماء لهم رموزهم، ومصطلحاتهم، ومناهجهم في البحث والأداء، وهذا التعريف عام يتناول العلوم والفنون. ومنها: طريقة التفكير والتصوير والتعبير، ثم ذكر ترجيحه لهذا التعريف لأنه يتناول كافة عناصر الأسلوب ويقوم بالربط فيما بينها.[3]

ويعرف الزيات الأسلوب بأنه: طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام، واختيار الألفاظ إنما يكون على الشكل الذي يرتضيه الذوق، وتأليف الكلام على الوضع الذي يقتضيه العقل، ويعرفه أيضا بأنه: طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة.[4]

---

(1) يُنظَرُ: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ج302/12)، مجمل اللغة، ابن فارس (ج470/1)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ج149/1)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده،(ج505/8).

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر (ص469).

(3) يُنظَرُ: الأسلوب دارسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الشايب (ص41-46).

(4) يُنظَرُ: دفاع عن البلاغة، الزيات (ص70-76).

ويظهر من التعريفات السابقة أن علماء العربية اصطلحوا على أن الأسلوب الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في كلامه وانتقاء ألفاظه، أو هو الطابع أو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في إيصال معانيه ومقاصده من كلامه.[1]

ثانيا: تعريف الأسلوب القرآني:

تتعدد أساليب الكلام وطرق عرضه بتعدد الأشخاص، وتختلف في الشخص الواحد حسب اختلاف الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها.

وأسلوب القرآن الكريم أسلوب فريد من نوعه لا يضاهيه أسلوب، وذلك لأنه كلام رب العالمين جل وعلا، أنزله الله تعالى معجزا للعرب جميعا، ومتحديا له به، فكان لابد من تعريف الأسلوب القرآني بالتعريف، فهو الطريقة التي انفرد بها في اختيار الألفاظ ومعانيها ونظمها.[2]

وقد كان العرب يدركون حق الإدراك أن للقرآن الكريم أسلوبا فريدا خاصا، لأنهم كانوا يدركون أن القرآن ليس كشعرهم، لا في أوزانه ولا في طرقه ولا في فنونه، وأما اتهامهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر لم يأت منهم ابتداء، ولكن بعض اليهود هم أول من اتهمه بذلك، ثم اتهمه العرب به.

فالقرآن الكريم ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس من كلام البشر، ولو كان من وضعهم وكلامهم لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب، ولما استيقنت العرب هذا المعنى أُفحموا وانقطعوا عن معارضته، لأنهم رأوا جنساً من الكلام غير الذي عهدوه، قال الله تعالى:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:82].[3]

ثالثا: تعريف الرذائل لغة واصطلاحا:

1- الرذائل لغة:

"الرَّذْلُ والرَّذِيلُ، والأَرْذَلُ: الدُّونُ من النّاسِ. وقِيلَ: هو الرَّدِيءُ من كُلِّ شَيْءٍ، والجَمْعُ: أَرْذالٌ، ورُذَلاءُ، ورُذُولٌ، ورُذالٌ-الأَخِيرةُ من الجَمْعِ العَزِيزِ-والأَرْذَلُون،... وثَوْبٌ رَذِيلٌ: وَسِخٌ رَدِيءٌ والرُّذالُ، والرُّذالَةُ: ما انْتُقِيَ جَيِّدُه، وبَقِيَ رَدِيئُه. والرَّذِيلَةُ: ضِدُّ الفَضِيلة"[4].

(1) يُنظَرُ: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، تحقيق: أحمد بن علي (ج253/2).

(2) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج253/2).

(3) يُنظَرُ: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي (ص،196،201).

(4) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (ج60/10).

2- الرذائل اصطلاحا:

الرذائل جمع، ومفردها رذيلة، وهي: الْخصْلَة الذميمة، وما كان ساقطًا خسيسًا من الأعمال،[1]

والرذيلة التي يقصدها البحث في القرآن الكريم هي كل ما نهى الله تعالى عنه، وأمر باجتنابه، أو حذر منه، أو غير ذلك على ما سيأتي من أساليب القرآن الكريم من قول أوصفة أو حال.

---

(1) يُنظَرُ: المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج340/1)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر (ج883/2).

الفصل الأول

التنفير بأسلوب الأمر بالاجتناب والنهي عن القرب ونسبة الفعل للشيطان

المبحث الأول

أسلوب الأمر باجتناب الفعل

المطلب الأول: الاجتناب لغة واصطلاحا:

1- الاجتناب لغة:

جَنَبَ الشَّيْء: بَعُدَ عَنهُ وأبعده وَدفعه، وجَنِبَ جَنَبًا: بَعُدَ، وجَنُبَ جَنَابَةً: بعد، وجَانَبه: أبعده، وجَنَّبَ فُلَانًا الشَّيْء: أبعده عَنهُ، واجتنب الشَّيْء: ابتعد عَنهُ، وتجانب الشَّيْء: ابتعد عَنهُ، والأجنب: الْبعيد فِي الْقَرَابَة، والجُنُب: البعيد.[1]

"وجَنَّبْتُ فلاناً عن هذا الأمْرِ: أي نَحَّيْته؛ فاجْتَنَبَ...ورَجُلٌ ذُو جَنْبَةٍ: أي ذو اعْتِزَالٍ عن الناسِ، ومُجَانِبُكَ: الذي قاطَعَكَ."[2]

"وَقيل للجُنُب: جُنُب، لِأَنَّهُ نُهِيَ أَن يَقْرَبَ مواضعَ الصَّلَاة مَا لم يتطَهَّر فتجنَّبها وَأَجنب عَنْهَا، أَي بَعُدَ."[3]

2- الاجتناب اصطلاحا:

الاجتناب هو ترك الشيء والابتعاد عنه،[4] وهو: "أن يعطي الإنسان الشيء المجْتَنَب جانَبَه،"[5] وأن يكون في جانب آخر منه.[6]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

يعد الأمر بالاجتناب من أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل والفواحش التي نهى الله تعالى عنها، وأمر بتركها، بل هو من أبلغها لأنه يتضمن طلب البعد عن الفعل وعدم القرب منه فضلا عن فعله ومباشرته.

---

(1) يُنظَرُ: المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج138/1).

(2) المحيط في اللغة، الصاحب ابن عباد (ج127/7).

(3) تهذيب اللغة، الأزهري (ج81/11).

(4) يُنظَرُ: التفسير الوسيط، الزحيلي (ج113/1).

(5) تفسير الشعراوي، الشعراوي (ج3372/6).

(6) يُنظَرُ: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني (ج562/1).

و"التعبير بقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ نصّ في التحريم ولكنه أبلغ في النهي والتحريم من لفظ (حُرّم)، لأن معناه البعد عنه بالكلية، فهو مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[الإسراء:32] لأن القرب منه إذ كان حراماً، فيكون الفعل محرماً من باب أولى وكذلك هنا،"[1] لذلك فإن الله تعالى لما حرم الخمر لم ينص على عدم تعاطيها وشربها، ولكنه أمر بالاجتناب عنها بعدم الوجود في مكانها، وهو أقوى من النص على تحريم تعاطيها،[2] "وكلّما كانت الحرمة شديدة جاء التعبير بلفظ الاجتناب،"[3] للدلالة على "التنفير من الاقتراب منها، والبعد عنها بعدا شديدا."[4]

والتعبير في قوله تعالى: ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾[الحج:30] هو "طلب اجتناب ذواتها للمبالغة في البعد عنها."[5]

والأمر باجتناب الرذائل لسد الذرائع والأسباب، لأن القرب منها وعدم اجتنابها قد يغري بارتكابها.[6]

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الأمر باجتناب الفعل:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة:90].

أ- سبب النزول:

ورد في سبب نزول هذه الآية روايات منها، أنها نزلت بسبب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فعنه أَنَّهُ قَالَ: (اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي البَقَرَةِ: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾[البقرة:21] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي

---

(1) صفوة التفاسير، الصابوني (ج358/1).

(2) يُنظَرُ: تفسير الشعراوي، الشعراوي (ج3372/6).

(3) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني (ج562/1).

(4) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج113/1).

(5) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (ج1213/6).

(6) يُنظَرُ: تفسير الشعراوي، الشعراوي (ج3372/6).

النِّسَاءِ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾[النساء:43]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بيِّنَ لَنَا فِي الخَمْرِ بيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة:91]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا.)[1]

وجاء في سبب نزولها في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه قال نزلت فيه آيات من القرآن الكريم، وقال منها: (وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ – وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ – فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ[2] مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَي[3] الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ – يَعْنِي نَفْسَهُ – شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة:91]).[4]

وجاء في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ فِي قَبِيلَتَيْنِ مِنْ قَبَائِلِ الْأَنْصَارِ، شَرِبُوا حَتَّى إِذَا نَهِلُوا عَبَثَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَلَمَّا صَحَوْا جَعَلَ الرَّجُلُ يَرَى الْأَثَرَ بِوَجْهِهِ وَبِرَأْسِهِ وَبِلِحْيَتِهِ فَيَقُولُ: قَدْ فَعَلَ بِي هَذَا أَخِي – وَكَانُوا إِخْوَةً لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

---

(1) سنن الترمذي: الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ/باب ومن سورة المائدة، تحقيق: بشار معروف، ج140/5: رقم الحديث 3049، وقال الألباني: حديث صحيح، [صحيح سنن الترمذي، الألباني (ج230/3).]

(2) "السقاء يُنقَلُ فِيهِ المَاء." [تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج408/25).]

(3) "اللِّحْيَانِ: حَائِطَا الْفَمِ، وَهُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الأسنان مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ مِنْ كُلِّ ذِي لَحْي"، [لسان العرب، ابن منظور (ج243/15).]

(4) صحيح مسلم: مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ/بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج1877/4: رقم الحديث 43–1748.

ضَغَائِنُ – وَاللهِ لَوْ كَانَ بي رَؤُوفًا رَحِيمًا مَا فَعَلَ بِي هَذَا، فَوَقَعَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الضَّغَائِنُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: فَهَلْ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾][1]

ذكر الطبري أن سبب النزول يجوز أن يكون لأي سبب من الأسباب الواردة، لعدم وجود الخبر القاطع في ذلك، إلا أن الجهل بسبب نزول الآية لا يضر في وجوب اجتناب كل ما ورد في الآية.[2]

والراجح أن حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليس سببا مباشرا في نزول الآية، وأن دعاءه لا يدل على نزول الآية بسببه، أما حديث سعد بن أبي وقاص فهو مقدم في صحته على حديث ابن عباس، لقوته، حيث رواه مسلم في صحيحه، وهذه قرينة ترجيح عند العلماء، ولتصريحه بسبب النزول.

ويمكن الجمع بين الحديثين باحتمالات:

الأول: أن الحدثين وقعا في نفس الوقت، فنزلت الآية فيهما، ولم يكن سعد بن أبي وقاص يعلم بذلك، فذكر أنها نزلت فيه.

الثاني: أن يكون في حديث ابن عباس وَهمٌ عندما ذُكر في الحديث أن القبيلتين من الأنصار، بأن تكون إحداهما من الأنصار والأخرى من المهاجرين، فتكون الروايتان عن السبب نفسه.[3]

---

(1) السنن الكبرى: النسائي، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/سُورَةُ الْمَائِدَةِ، تحقيق: حسن شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط ج85/10: رقم الحديث: 11086، وبنحوه أخرج البيهقي. [السنن الكبرى: البيهيقي، كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ وَالْحَدُّ فِيهَا/بَابُ مَا جَاءَ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، تحقيق: محمد عطا ج496/8: رقم الحديث: 17327]، وصححه ابن حجر، [فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محمد عبدالباقي، تحقيق وإشراف: محب الدين الخطيب (ج31/10)]، وذكر الألباني أن الحديث لا ينزل عن مرتبة الحسن، [يُنظَرُ: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني (ج1422/7).]

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج662/8).

(3) يُنظَرُ: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المزيني (ج507/1-508).

ب–المفردات اللغوية:

﴿ٱلۡخَمۡرُ﴾: "كُلُّ شَرَابٍ خَامَرَ الْعَقْلَ فَسَتَرَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَمَّرْتُ الْإِنَاءَ إِذَا غَطَّيْتُهُ،"[1] "وَالْخَمْرُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ خَمَرَ إِذَا سَتَرَ، وَمِنْهُ خِمَارُ الْمَرْأَةِ. وكل شيء غَطَّى شَيْئًا فَقَدْ خَمَرَهُ، وَمِنْه (خَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ).[2]"[3]

﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾: "مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: يَسَر لِي هَذَا الْأَمر: إِذَا وَجَبَ لِي، فَهُوَ يَيْسِرُ لِي يَسَرًا وَمَيْسِرًا...ثُمَّ قِيلَ لِلْمُقَامِرِ: يَاسِرٌ وَيَسَرٌ، وَقِيلَ لِلْقِمَارِ: مَيْسِرٌ،"[4] "وكل شيء فِيهِ قِمَارٌ مِنْ نَرْدٍ وَشِطْرَنْجٍ فَهُوَ الْمَيْسِرُ."[5]

﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾: "النُّصُبُ: الْأَوْثَانُ مِنَ الْحِجَارَةِ،"[6] أو أن المراد بها هو: "عِبَادَةُ الْأَنْصَابِ."[7]

﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾: "وَاحِدَهَا زَلَمٌ، وَيُقَالَ زُلَمٌ، وَهِيَ: الْقِدَاحُ،"[8] "فهي الثلاثة التي كان أكثر الناس يتخذونها. في أحدها (لا) وفي الآخر (نعم)، والآخر (غفل)."[9]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج3/669).

(2) جزء من حديث جابر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَفَعَهُ، قَالَ: (خَمِّرُوا الآنِيَةَ) [صحيح البخاري: البخاري، كتاب بَدْءِ الخَلْقِ/باب خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ، تحقيق: محمد الناصر ج4/129: رقم الحديث:3316]. ولفظ مسلم: عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (غَطُّوا الْإِنَاءَ). [صحيح مسلم: مسلم، الْأَشْرِبَةِ/الْأَمْرِ بِتَغْطِيَةِ الْإِنَاءِ وَإِيكَاءِ السِّقَاءِ، وَإِغْلَاقِ الْأَبْوَابِ، وَذِكْرِ اسْمِ اللهِ عَلَيْهَا، وَإِطْفَاءِ السِّرَاجِ وَالنَّارِ عِنْدَ النَّوْمِ، وَكَفِّ الصِّبْيَانِ وَالْمَوَاشِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ، تحقيق: محمد عبد الباقي ج3/1594: رقم الحديث: 2012].

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج3/433).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج3/670).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج3/436).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/69–70).

(7) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج7/23).

(8) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج3/72).

(9) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج2/233).

﴿رِجۡسٌ﴾: "إِثْمٌ وَنَتْنٌ، سَخِطَهُ اللَّهُ تعالى وَكَرِهَهُ لَكُمْ،"[1] و"كل مكروه ذميم، وقد يقال للعذاب."[2]

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾: "فَاتْرُكُوهُ وَارْفُضُوهُ، وَلَا تَعْمَلُوهُ،"[3] واجعلوه جانبا أو ناحية، وأَبْعِدُوهُ.[4]

ت- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى المؤمنين باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لأنها إثم ونتن، وأنها من عمل الشيطان، وأن مجتنب هذه الرذائل من المفلحين عند الله تعالى.

وذكر الله تعالى أن هذه الرذائل المنهي عنها من شرب الخمر والقمار وعبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، إنما هي من تزيين الشيطان، وتحسينه، ووسوسته، وليست من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضى عن فاعليها، بل هي مما يسخط الله تعالى عليكم،[5] وقيل إن الشيطان هو الذي فعل تلك الأمور في بادئ الأمر ثم صار يقتدى به فيها.[6]

ث- التدرج في تحريم الخمر

حرم الله تعالى الخمر بالتدريج، وذلك من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، فقد كانت منتشرة في الجاهلية بين العرب، وكانوا مولعين بشربها، فأول ما نزل قول الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾[البقرة:219]، فتركها بعض المؤمنين لما فيها من الإثم الكبير، ولم يتركها آخرون، ثم نزل فيها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[النساء:43]، فتركها البعض لأنها تشغلهم عن الصلاة، ولم يتركها آخرون فشربوها في غير أوقات الصلاة، وآخر ما نزل فيها

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج656/8).
(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج233/2).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج656/8).
(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج234/2)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج160/8).
(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج656/8).
(6) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج159/8).

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ ففيها جاء التحريم القاطع للخمر.[1]

وقد "أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد...ومنها أنه أمر بالاجتناب،"[2] فكل ما ورد مقترنا بصيغة "اجتنبوا" يُعدُّ في الشريعة من المحرمات المقطوع بتحريمها،[3] وهي أقوى في الدلالة من النهي عن شربها، لأن الاجتناب يقتضي النهي عن مجالسة الشاربين، وعن المرور على الحانات والدخول فيها.[4]

والأمر بالاجتناب: "يَقْتَضِي الِاجْتِنَابَ الْمُطْلَقَ الَّذِي لَا يُنْتَفَعُ مَعَهُ بِشَيْءٍ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، لَا بِشُرْبٍ وَلَا بَيْعٍ وَلَا تَخْلِيلٍ وَلَا مُدَاوَاةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ،"[5] ففي الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: (أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاوِيَةَ خَمْرٍ،[6] فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا"، قَالَ: لَا، قَالَ: فَسَارَّ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِمَ سَارَرْتَهُ؟" قَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا"، قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا.)[7]

ويظهر جليا من الآيات التنفير من الرجس الذي يعود على الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بالأمر بالبعد عنها وعدم القرب منها مبالغة في النهي عن ارتكابه فعلا أو شربا أو تعظيما أو اعتقادا أو بيعا أو شراء...إلخ.

ج- لطيفة في القصر المستفاد من ﴿إِنَّمَا﴾:

الْقَصْرُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ ﴿إِنَّمَا﴾ هو قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، وهو للمبالغة في عدم الاعتداد بصفة أخرى غير صفة الرجس، فالله تعالى أثبت للخمر والميسر صفتين، فقال تعالى:

---

(1) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج157/8).

(2) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج688/2).

(3) يُنظَرُ: التيسير في أحاديث التفسير، الناصري (ج87/2).

(4) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج2346/5).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج161/8).

(6) قربة من خمر، يُنظَرُ: [المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج353/10).]

(7) صحيح مسلم: مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ/بَابُ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ، تحقيق: محمد عبدالباقي ج1206/3: رقم الحديث 1579.

﴿ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[البقرة:219]، وهاتان الصفتان متضادتان، وصفة الإثم مساوية لصفة الرجس، لأن كلتيهما تدلان على وجوب الاجتناب، وصفة المنفعة مضادة لها، فجاء القصر هنا ليدل على الاقتصار على صفة الرجس التي تساوي الإثم، لينفي بذلك عنها المنفعة.[1]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾[الحج:30].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ ٱلزُّورِ ﴾: "الزور من الزور والازورار، وهو الانحراف،"[2] وهو" الكذب والبهتان، أو شهادة الزور،"[3] وقالوا إنه "عام في الكذب والكفر، وذلك أن كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور."[4]

ب- التفسير والبيان:

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن قول الزور من كذب وبهتان وشهادة زور، وجميع الأقوال الباطلة بالأمر باجتناب قول الزور، والأمر بالاجتناب من الله تعالى يدل على تحريم قول الزور.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من قول الزور وشهادة الزور وجعله من الكبائر، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أَبِي بَكْرَةَ،[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟) ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ

---

(1) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج7/23-24).

(2) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج3/153).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج2/439).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج4/120).

(5) هو: نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، وهو ممن نزل يوم الطائف إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حصن الطائف فِي بكرة، فأسلم، وكني أبا بكرة وأعتقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أبو بكرة من فضلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصالحيهم.[يُنظَرُ: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض وعادل عبدالموجود (ج6/35)].

الوَالِدَيْنِ –وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ– أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ)، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.[1]

"هَذِهِ الْآيَةُ تَضَمَّنَتِ الْوَعِيدَ عَلَى الشَّهَادَةِ بِالزُّورِ، وَيَنْبَغِي لِلْحَاكِمِ إذا عثر على الشاهد بالزور أن يعزره وَيُنَادِيَ عَلَيْهِ لِيُعْرَفَ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِشَهَادَتِهِ أَحَدٌ."[2]

فهذه الآية فيها من الدلالة الواضحة على التنفير من قول الزور لا بالنهي عنه فحسب، بل بالأمر باجتنابه، وهذا التأكيد في التنفير منه بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه عندما عده من الكبائر، وأكد على تركه فكرره ثلاث مرات.

---

(1) صحيح البخاري: البخاري، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ/بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّور، تحقيق: محمد الناصر ج172/3: رقم الحديث 2654.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج387/14).

المبحث الثاني

أسلوب النـهي عن القرب من الفعل

المطلب الأول: القرب لغة واصطلاحا:

1- القرب لغة:

"القُرْبُ: نَقِيْضُ البُعْدِ. والتَّقَرُّبُ: التَّدَنّي والتَوَصُّلُ إلى الشَيْءِ، ومنه الاقْتِرَابُ، والقُرْبَانُ: ما تَقَرَّبْتَ به إلى اللهِ عَزَّ اسْمُه تبتغي به قُرْبَه."[1]

"وقرب الشَّيْء قربا وقربانا: دنا مِنْهُ وباشره، وللتشديد فِي النَّهْي عَن الْأَمر يُقَال لَا تقربه، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[الإسراء:32] و﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾[البقرة:35]."[2]

2- القرب اصطلاحا:

القرب هو الدنو، والدنو إما أن يكون حقيقيا في الاقتراب من المكان والذات، أو مجازيا بمعنى التلبس بالفعل.[3]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نهى الله تعالى عن بعض الأفعال من الرذائل بالنهي عن القرب منها، "والنهيُ عن القربانِ أبْلَغُ من النهيِ عن الالتباسِ بالشيءِ."[4]

فدلالة النهي عن القرب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾[البقرة:35] أن الله تعالى لما أراد النهي عن الأكل من الشجرة نهى عنه بما يدعو إليه وهو القرب منها، وذلك لسد الذرائع.[5]

ولما نهى الله تبارك وتعالى عن تجاوز حدوده التي وضعها لعباده نهى أن يُقربَ الحدُّ الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تجاوزها وتخطيها فقال تعالى ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ

---

(1) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين (ج404/5).

(2) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (723/2).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج432/1).

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط (ج299/2).

(5) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج127/1).

﴿ فَلَا تَقۡرَبُوهَا ﴾[البقرة:187]،[1] وهو "أبلغ من قوله: (فلا تفعلوها)، لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه، والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يُمكِنه، وترك كل سبب يدعو إليها."[2]

فالنهي عن القرب من الرذيلة أبلغ في التنفير من النهي عن ارتكاب الرذيلة نفسها.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على النهي عن القرب من الفعل:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ﴾[الإسراء:32].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾: "هُوَ وَطْءُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ فِي فَرْجِهَا مِنْ غَيْرِ نِكَاحٍ وَلَا شُبْهَةِ نِكَاحٍ، وَقِيلَ: هُوَ إِيلَاجُ فَرْجٍ فِي فَرْجٍ مُشْتَهًى طَبْعًا مُحَرَّمٍ شَرْعًا."[3]

ب- التفسير والبيان:

ينهى الله تعالى عن الزنا بالنهي عن القرب منه، لا بالنهي عن ذاته، فهو أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: (وَلَا تَزْنُوا)، لأن معناه لا تدنوا من الزنى، فالقرب المنهي عنه هو أقل الملابسة،وهو كناية عن شدة النهي عن الزنا،[4] فدل ذلك على أن المقصود هو النهي عن جميع مقدمات الزنا وأسبابه ودواعيه، كالنظر إلى المرأة الأجنبية، وسماع الأغاني والمزامير، والاختلاط، فكلها وسائل للزنى، نهى الله تعالى عنها لمنع الاقتراب من الزنى.[5]

ولذلك فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتناب الشبهات خشية الوقوع في المحرمات، ففي الحديث الصحيح عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج202/1)، يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج245/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق(ص87)، يُنظَرُ: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل (ج222/2).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج6/4).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي (ج72/13)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور(ج89/15).

(5) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص457).

المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ).[1]

ولأن الزنا المنهي عنه كان غالب أحوال أهل الجاهلية فقد جاء الأمر بصيغة الجمع، ولم يقل (ولا تقرب الزنا)، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[الإسراء:31].[2]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[الأنعام:151-152].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ **ٱلْفَوَٰحِشَ** ﴾: "الْآثَامُ الْكَبِيرَةُ، وَهِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَفَاسِدَ."[3]

﴿ **مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾: ما يأتونه علانية ولا ينكرونه فيما بينهم.

﴿ **وَمَا بَطَنَ** ﴾: يأتونه سرا في خفاء دون الجهر به.[4]

ب-التفسير والبيان:

ينهى الله تعالى عن القرب من الفواحش جميعها، ما ظهر منها وما بطن، وعن قتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق، وينهى عن القرب من مال اليتيم بما لا يحل له.

"والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها،"[5] "فإذا كانت الأسباب محرمة فكيف بنفس الفواحش؟ تكون أشدَّ تحريما."[6]

---

(1) صحيح البخاري: البخاري، كتاب الإيمان/باب فضل من استبرأ لدينه، تحقيق: محمد الناصر ج20/1: رقم الحديث 52.

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور(ج89/15).

(3) المرجع السابق (ج8-أ/160).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج659/9).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الله اللويحق (ص279).

(6) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الفوزان (ج87/2).

والنهي عن القرب منها إما أن يعود إلى المبالغة في الزجر والنهي عن ارتكاب المنهيات، وذلك بسبب قوة الدواعي لدى الناس لفعلها، أو لأن القرب منها يؤدي إلى الوقوع فيها وارتكاب جرمها.[1]

ثم ينهى الله تعالى عن القرب من مال اليتيم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، والمقصود: النهي عن التصرف في ماله إلا بما يعود عليه بالخير من تثمير المال وتنميته، وحفظه من الهلاك والتلف.[2]

والنهي عن القرب من مال اليتيم يراد منه التنفير من التصرف في مال اليتيم بغير وجه حق، فلا يقربه بأي وجه من الوجوه غير الشرعية، وهذا أبلغ من أن ينهى عن أكل مال اليتيم، أوتضييع ماله، أو إتلافه، أو التهاون في الحفاظ عليه، لأن ذلك يشمله كله، ثم جُعل النهي عن القرب هو الأصل، وما استثني منه ما كان بالتي هي أحسن، والله تعالى أعلى وأعلم.

وهذا النهي من رحمة الله تعالى باليتيم، لأنه غير عارف بمصلحته ولا يستطيع القيام بها، فنهى عن القرب من ماله إلا لمصحته في أمواله حتى يكبر.[3]

---

(1) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج199/3).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، (ج659/9).

(3) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق(ص 457).

المبحث الثالث

أسلوب نسبة الفعل إلى الشيطان

المطلب الأول: الشيطان لغة واصطلاحا:

1- الشيطان لغة:

ذكر أهل اللغة أن أصل اشتقاق الكلمة يرجع إلى قولين: الأول: أَنَّهُ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ عَنْ الْحَقِّ أَوْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، الثَّانِي: أَنه مِنْ شَاطَ يَشِيطُ إِذَا بَطَلَ أَوْ احْتَرَقَ.[1]

2- الشيطان اصطلاحا:

"كُلُّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ فَهُوَ شَيْطَانٌ،"[2] أو هو: "المحرق فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة والعصي الآبي الممتلئ شرا ومكرا، أَو المتمادي فِي الطغيان الممتد إِلَى الْعِصْيَان، وَله فِي الْقُرْآن صِفَات مذمومة وَأَسْمَاء مشؤومة، خلق من قُوَّة النَّار."[3]

ويلاحظ أن التعريف الأول أشمل، فيمكن أن يكون الشيطان إنسانا، أما التعريف الثاني فقد حصره في جنس الشياطين.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نهى الله تبارك وتعالى عن رذائل عديدة في القرآن الكريم، وَنَوَّعَ في أساليب التنفير من تلك الرذائل، ومن جملة هذه الأساليب نسبة الفعل إلى الشيطان، بأن يكون فعلها من تزيين الشيطان أو وسوسته، أو أن تكون أعمالا تعملها الشياطين، أو أن يكون فاعلها وليا أو أخا للشيطان، وهذا من أبلغ ما يكون في التنفير.

ويقول الطاهر ابن عاشور: "وَفِي ذَلِكَ تَنْفِيرٌ لِمُتَعَاطِيهَا بِأَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ شَيْطَانٌ، وَذَلِكَ مِمَّا تَأْبَاهُ النُّفُوسُ،"[4] ويقول سيد قطب أيضا في ذلك: "ويكفي أن يعلم المؤمن

---

(1) يُنظَرُ: مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان(ج502/1)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج313/1).

(2) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان(ج502/1).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص540)

(4) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج24/7).

أن شيئاً ما من عمل الشيطان لينفر منه حسه، وتشمئز منه نفسه، ويجفل منه كيانه، ويبعد عنه من خوف ويتقيه."[1]

ولذلك استدل العلماء بأن ما نسبه الله تعالى إلى الشيطان فهو حرام لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾[النور:21].[2]

يقول الشيخ ابن عثيمين في تفسيره لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن النُّشرَة[3] فقال: (هي من عمل الشيطان)[4]: "أي من العمل الذي يأمر به الشيطان ويوحي به، لأن الشيطان يأمر بالفحشاء ويوحي إلى أوليائه بالمنكر، وهذا يغني عن قوله: إنها حرام، بل هو أشد، لأن نسبتها للشيطان أبلغ في تقبيحها والتنفير منها."[5]

والشيطان عدو للإنسان، وهذه العداوة حقيقة ثابتة، ومتأصلة وقديمة منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام، فالمسلم لا يرضى على نفسه أن يقبل من عدوه أمرا يمليه عليه ويزينه له، فالعدو لا يأتي منه إلا الشر، وخاصة إذا كان هذا العدو هو الشيطان الذي أعلن عداوته للإنسان وجعل شغله الشاغل في صد الناس عن دين الله تعالى، فهو يأمرهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف، قال تعالى عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[ص:82].

وقد حذرنا الله تعالى من عداوة الشيطان فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ ﴾[فاطر:6]، ولذلك أمرنا أن نعاديه ولا نسالمه ولا نصغي لأوامره ووسوسته فقال تعالى: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[فاطر:6]، لأنه كما قال تعالى فيه: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر:6]، والعاقل لا يقبل على نفسه أن يكون من أصحاب السعير.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج975/1).

(2) يُنظَرُ: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن العثيمين، تحقيق: عمر الحفيان (ج298/14).

(3) النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ.[غريب الحديث، ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي (ج408/2)]. "وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ عَمَّنْ يُطْلِقُ السِّحْرَ عَنِ الْمَسْحُورِ فَقَالَ لَا بَأْسَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَيُجَابُ عَنِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ بِأَنَّ قَوْلَهُ: (النُّشْرَةُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ): إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلِهَا، وَيَخْتَلِفُ الْحُكْمُ بِالْقَصْدِ فَمَنْ قَصَدَ بِهَا خَيْرًا كَانَ خَيْرًا وَإِلَّا فَهُوَ شَرٌّ." [فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد الباقي، (ج233/10)].

(4) مسند الإمام أحمد: الإمام أحمد، مُسْنَدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ج40/22: رقم الحديث 14135. وقال المحقق: حديث صحيح.

(5) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين (ج554/1).

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم يحذرنا الله تعالى فيها من عداوة الشيطان منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يس:60]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة:208]، وقوله تعالى:﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة:268]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[الزخرف:62].

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نسبة الفعل إلى الشيطان:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[المجادلة:10]

أ- المفردات اللغوية:

﴿النَّجْوَىٰ﴾: "مَا يَتَفَرَّدُ بِهِ الجَماعَة والاثنان سِرّاً كَانَ أَو ظَاهِرا،"[1] فالتفرد من الاثنين أو الجماعة يعد من الاستسرار المنهي عنه، فهو من النجوى، لأن النجوى ليست مقتصرة على الهمس في الأذن.

ب- التفسير والبيان:

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، مبينا لهم أنها من الشيطان، فالشيطان هو المزين لها والحامل عليها، فهي منه لا من غيره.[2]

فلما بين الله تعالى أن النجوى من صفات المنافقين أو اليهود في الآية التي قبلها حذر عباده المؤمنين ونفرهم منها أشد تنفير بأن نسبها إلى الشيطان، فكأنها من فعله، لأنها من تزيينه ووسوسته.

والعاقل لا يرضى على نفسه أن يفعل شيئا هو من تزيين الشيطان ووسوسته، فالشيطان عدو للإنسان.

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج135/11)، يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج104/2).

(2) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج224/5)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج194/5).

المثـــال الثـــاني: قـــال الله تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[البقرة:168].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**خُطُوَٰتِ**﴾: الخطوات جمع خطوة، وهي بُعد ما بين قدمي الماشي، وقد تجمع على خُطَا. والمقصود هو النهي عن طُرقه ومسالكه في ما يدعو إليه مما هو خلاف طاعة الله تعالى.[1]

ب- التفسير والبيان:

في هذه الآية نداء من الله عز وجل للناس جميعا، كافرهم ومؤمنهم، بأن يأكلوا مما في الأرض حلالا طيبا، "فالكفر لا يحجب الإنعام الإلهي،"[2] ثم ينهاهم الله جل وعلا جميعا عن اتباع خطوات الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾.

إذ إن المشركين متبعون لخطوات الشيطان ومقتفون لأثره ومقتدون به في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، على عكس المؤمنين الذين لم تكن تلك من صفاتهم ولا من سجاياهم، ولكن ذلك من باب الموعظة والتحذير من الوقوع في شر الشيطان.[3]

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، فقال بعضهم: عمله، وقال آخرون: خطاياه،[4] وأول الزجاج الخطوة بالطريق الذي يدعو إليه الشيطان، أو آثار الشيطان، فكأنه يقتفي آثار الشيطان،[5] وأولها الماتريدي بالآثار أو الوساوس أو السبل أو الأعمال أو التزيين،

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج37/3)، دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيِر الآيِ والسُّوَر، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق القسم الأول: طلعت الفرحان، تحقيق القسم الثاني: محمد شكور (ج274/1).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج437/1).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج102/2).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج38/3).

(5) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج241/1و280).

وذكر أن الأصل في ذلك أن كل من أجاب داعيا إلى ما يدعو إليه فقد اتبع أثره،[1] وأولها ابن أبي زَمَنِين[2] بالأمر: أي ما يأمركم به الشيطان.[3]

والناظر في هذه المعاني جميعا يرى أنها لا تتعارض مع بعضها، بل إنها كلها تصب في معنى واحد، وهو النهي عن طاعة الشيطان بعمل أعماله والاقتداء بآثاره واتخاذه دليلا مرشدا فيصبح كأنه الآمر لأتباعه فيعصون ربهم كما عصى الشيطان ربه سبحانه وتعالى، فقد بين الله تعالى ذلك فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:169].

وسبب الاختلاف في تأويل الآية راجع إلى أن التركيب القرآني فيه من البلاغة ما فيه، فاختلف المفسرون في تأويله حسب الصورة البلاغية في هذا التركيب.

وذكر الطاهر ابن عاشور أن ﴿ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ استعارة تمثيلية، أصلها أن السائر على آثار خطوات السائرين يعتقد بأن من سار قبله قد وصل إلى مراده، فشبه المُقتَدِي الذي لا دليل له سوى المُقتَدَى به، بالذي يتبع خطوات السائرين وشاعت هذه التمثيلية حتى صارت بمعنى الاقتداء، والاقتداء بالشيطان هو إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر السيئة،[4] وهذا التمثيل مبني على تشبيه المحسوس بالمعقول، فالمشبه به وهو خطوات الشيطان أمر غير محسوس وغير معروف.[5]

ت–مسألة: لماذا نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان ولم ينه عن اتباع الشيطان؟

اتباع الشيطان أمر لا يقبله العاقل على نفسه، وهو أمر مستبعد، لكن الذي يحذر الله تعالى من الوقوع فيه هو اتباع خطواته من الوسوسة والتزيين وتدرج الشيطان في ذلك، حتى أن

---

(1) يُنظَرُ: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج618/1)،(ج289/4).

(2) مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن عيسى بْن مُحَمَّد المُرِّي، ولد في سنة 324هـ، وَتُوُفِّي سنة 399هـ، كان بصيرًا بمذهب مالك رضي الله تعالى عنه، وكان من الرّاسخين فِي العِلْم، متفننًا فِي الأدب والشعر، مُقْتَفِيا لآثار السَّلَف رَوَى عَنْهُ: أَبُوعَمْرو الدّاني، وطائفة من علماء الْأندلس.[ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، الذهبي، تحقيق: بشار معروف(ج807/8)].

(3) يُنظَرُ: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين عكاشة ومحمد الكنز (ج193/1).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج103/2).

(5) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج186/18).

الشيطان ليجتهد على صاحب الطاعة فيتدرج في صده لينقله إلى التساهل فيها ثم ينقله إلى التوسع في المباحات ثم إلى فعل الصغائر ثم إلى فعل الكبائر والعياذ بالله تعالى.[1]

(1) يُنظَرُ: خطوات الشيطان، إبراهيم الحقيل، تاريخ الاطلاع: 22 سبتمبر 2017م، الموقع: صيد الفوائد (http://www.saaid.net).

الفصل الثاني

التنفير بأسلوب الذم بألفاظ الذم والوصف بالرجس واللعن

المبحث الأول

أسلوب ذم الفعل بألفاظ الذم

المطلب الأول: الذم لغة واصطلاحا:

1- الذم لغة:

الذَمُّ: نقيض المدح، يقال: ذممته فهو ذميم، ذَمَّهُ يَذُمُّه ذَمّا ومَذَمَّةً فهو مَذْمُومٌ وذَمِيمٌ.[1] والمَذَمَّة: الْمَلَامَةُ، والذُّموم: العُيوب.[2]

2- الذم اصطلاحا:

"هو قول أو فعل أو ترك قول أو فعل ينبئ عن اتّضاح حال الغير وانحطاط شأنه."[3]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

يعد ذم الفعل أو الفاعل من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التنفير من الرذائل والذنوب والمعاصي، ولقد ذم الله تعالى أفعال العصاة، والكفار بأساليب متنوعة، منها ألفاظ الذم مثل (بئس، وساء).

إن دلالة التنفير من الأفعال المذمومة بألفاظ الذم واضحة وظاهرة في كلام الناس وسلوكهم، وعليه فإن ذم الفعل من الله تبارك وتعالى أشد تنفيرا، لأن سبحانه وتعالى هو الخالق العالم بالخير والشر، فإذا ذم عملا ما فهو شر بلا خلاف.

فالمسلم إذا علم أن الله تبارك وتعالى قد ذم عملا ما فعليه أن ينتهي ويكف عن عمله، ويذمه كما ذمه الله تبارك وتعالى، وأن ينفر منه، وأن ينفر الناس منه، فالله تعالى لا يذم عملا إلا لشر فيه، أراد الله تبارك وتعالى أن يحذرنا منه، فتبارك الله رب العالمين.

---

(1) يُنظَرُ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج1925/5)، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج57/10).

(2) يُنظَرُ: لسان العرب، ابن منظور (ج220/12).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج (ج826/1).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على ذم الفعل بألفاظ الذم:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:62-63]

أ- المفردات اللغوية:

﴿وَتَرَىٰ﴾: الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، أو لكل من يصلح له الخطاب، وقد تكون الرؤية بصرية وقد تكون قلبية،[1] والقول بأنها رؤية بصرية أقرب لحالهم وظهور نفاقهم، بحيث لا يخفى على أحد.[2]

﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: المسارعة: العجلة،[3] وهي: المسابقة،[4] والمقصود أنهم يبادرون إليه بسرعة،[5] ولفظ المسارعة يدل على المباشرة والشروع،[6] والحرص.[7]

﴿ٱلْإِثْمِ﴾: معناه فعل الإثم ومواقعته،[8] أو فعل ما يوجب الإثم على فاعله، فالإثم هو الحكم المعلق على صاحب الذنب، ولا يقع الإثم إلا إذا وقع الذنب الموجب للإثم.[9]

---

(1) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج64/2).

(2) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج57/3)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج248/6).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج548/8).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج80/8).

(5) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج59/2).

(6) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج423/7)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج57/3).

(7) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص237).

(8) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج548/8).

(9) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج214/2).

وقيل هو الكفر،[1] وقيل يراد به كل أقوالهم الباطلة،[2] وقيل المراد به الكذب،[3] بدلالة قوله تعالى ﴿عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ﴾.[4]

والراجح أن ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾ وصف عام، واسم جامع لكل المعاصي والمحرمات من دون تخصيص لإثم دون إثم، فلا يخصص بالكفر ولا بقول الزور وإنما يشمل كل معصية.[5]

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾: هو الظلم المتعدي إلى الغير،[6] وقيل: هو مجاوزة الحد الذي حده الله تعالى لعباده في كل ما شرعه لهم في أوامره ونواهيه،[7] وقيل هو الاعتداء على المسلمين إن استطاعوا ذلك.[8]

﴿ٱلسُّحۡتَ﴾: كل المال الذي يكسبونه من الحرام، كالرشوة والربا وأكل مال اليتيم والمال المغصوب،[9] وقد خصه الله تعالى بالذكر مع أنه من جملة الآثام للمبالغة في ذمه وتقبيحه.[10]

وقيل هي الرشوة التي يأخذونها من الناس على الحكم، ليحكموا لهم بأهوائهم بما يخالف حكم الله تعالى فيه.[11]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج548/8).

(2) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج214/2).

(3) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج64/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود(ج57/3).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج248/6).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج548/8)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج57/3).

(6) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج64/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود(ج57/3)

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج549/8)، تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج550/3).

(8) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج248/6).

(9) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج214/2)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج564/3).

(10) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج134/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج57/3).

(11) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج549/8).

﴿ لَوۡلَا ﴾: بمعنى هلا،[1] وهو "بمعنى التحضيض والتوبيخ"،[2] أو بمعنى أفلا.[3]

﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾: "وهذا في غاية الذم لهم والقدح فيهم،"[4] واللام للقسم.[5]

﴿ يَنۡهَىٰهُمُ ﴾: يزجرهم.[6]

﴿ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ ﴾: هم الأئمة العلماء من أرباب الولايات العاملون بسياسة الناس لتدبير وإصلاح أحوالهم.[7]

﴿ وَٱلۡأَحۡبَارُ ﴾: هم العلماء فقط دون المكلفين بسياسة أحوال الناس والولاية عليهم،[8] وقيل هم علماء اليهود، وقيل الربانيون علماء النصارى.[9]

﴿ قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ ﴾: "قول الكذب والزور."[10]

﴿ يَصۡنَعُونَ ﴾: الصناعة هي العمل مع الاتقان والجودة في العمل،[11] فالصنع أقوى من العمل، لأن العمل لا يصل لدرجة الصناعة إلا إذا كان هذا العمل قويا وراسخا ومتقنا، وليس كذلك

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/550).
(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج2/59)، يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج7/423).
(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/80).
(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 237).
(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/550).
(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/80).
(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/550)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج3/144).
(8) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج2/214)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج3/144).
(9) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/80).
(10) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/550)، يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج2/59).
(11) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/80).

مطلق العمل،[1] والمقصود بصناعتهم أي تركهم النهي عن هذه الآثام المتقدمة، وقيل أن ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ و﴿يَصۡنَعُونَ﴾ بمعنى واحد ولا فرق بينهما.[2] واختلاف الألفاظ إنما هو من قبيل التفنن.[3]

ب- التفسير والبيان:

وترى يا محمد صلى الله عليه وسلم، على قول أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لكل من تصلح له الرؤية، سواء أبصرية كانت الرؤية أم قلبية، يسارعون في فعل الآثام والمعاصي والظلم بالاعتداء على غيرهم، وأكلهم أموال الناس بالباطل بالحكم فيما بينهم بغير شرع الله تعالى.

وذكر المسارعة ولم يذكر العجلة، رغم أن المسارعة تكون في الخير، والعجلة غالبا ما تكون في الشر، للدلالة على أنهم يقدمون على فعل هذه المنكرات وكأنهم محقون فيها.[4]

واستخدام حرف الجر﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾ بدلاً من (إلى الإثم) يدل على شدة تمكنهم فيما يسارعون إليه من الآثام وإحاطتها بأعمالهم.[5]

وبعد ما بين الله تعالى قبيح فعلهم، ذمهم على تلك الأفعال، ثم أقسم سبحانه وتعالى على ذلك الذم فقال: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من هذه الأعمال التي ينبغي على المسلم أن يذمها كما ذمها الله تعالى، وأن ينفر منها ومن فعلها، فذمُّ الله تعالى لها يدل على بغضه لها وإرشاد لنا بوجوب تركها.

ثم وبخ الله تعالى علماء اليهود من الربانيين والأحبار على عدم إنكارهم وزجرهم لمن يفعل هذه الأعمال رغم علمهم بأنها أفعال منكرة.

---

(1) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج423/7)، فتح القدير، الشوكاني (ج64/2).

(2) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج144/3).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج248/6).

(4) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج59/2)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج452/1).

(5) يُنظَرُ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية (ج354/3).

وبعد ما بين الله تعالى سوء فعل الربانيين والأحبار ذمهم على ترك إنكارهم وتغييرهم للمنكر فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، وفي ذلك دلالة على أن تارك النهي عن المنكر، بمنزلة مرتكبه، وأنه يلحقه من الإثم كما يلحق مرتكبه، لأن الله تعالى ذم الفريقين،[1] بل إن ذَمَّ تَارِكِ النهي عن المنكر –على قول من فرق بين العمل والصناعة– أقوى؛ لأنَّه قال في مرتكبي الإثم ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال في العلماء التاركين للنهي عن المنكر: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، فجعل ذنب العاملين ذنبا غير راسخ، وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا.[2]

ت–لطيفة: "كانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدَّ تَوْبِيخًا لِلْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَا أَخْوَفَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا،"[3] ولذلك وجب على العلماء الحذر من ترك النهي عن المنكر، في ما يعلمون أنه منكر ويفعله عامة الناس، وإلا كان صنيعهم هذا مذموما عند الله تعالى.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[النساء:22].

أ– المفردات اللغوية:

﴿**فَٰحِشَةً**﴾: أقبح المعاصي، وأعظمها.[4]

﴿**وَمَقْتًا**﴾: "المقت: بغض مقرون باستحقار، فهو أخص منه،"[5] أو هو: " أشد البغض."[6]

﴿**سَبِيلًا**﴾: أي الطريق والمنهج.[7]

---

(1) يُنظَرُ: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج550/3)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج59/2).

(2) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض(ج424/7).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج550/8).

(4) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج270/6).

(5) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج270/6)، يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج127/1).

(6) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج32/2).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج552/6).

ب- التفسير والبيان:

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن كل ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحون بها في الجاهلية، فحرم الله تعالى نكاح زوجة الأب وكل نكاح محرم كانوا يتعاملون به في الجاهلية.

واستثنى الله تعالى ﴿مَاقَدۡ سَلَفَ﴾ فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَاقَدۡ سَلَفَ﴾، أي ولا تنكحوا من النساء مثل نكاح آبائكم إلا ما قد مضى منكم في الجاهلية، فلا إثم فيه، فيكون قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ متعلقا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ﴾، ويكون قوله تعالى: ﴿مَا نَكَحَ﴾ بمعنى المصدر أي: نكاح.[1]

ثم ذم الله تعالى ذلك الفعل ونفر عباده المؤمنين منه بأنواع من التنفير، فوصفه بالفاحشة التي عظم قبحها، ووصفه بالمقت، الذي هو شدة البغض، وذم هذا الطريق لمن سلكه فقال: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

وذم الله تعالى للفعل دليل على قبحه عند الله تعالى، والمسلم ينفر مما يقبحه الله تعالى، لأن في فعله عصيان لله تعالى وخسران في الدنيا والآخرة فدل هذا على تنفير الله تعالى منه.

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج552/6)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج270/6).

المبحث الثاني

أسلوب وصف الفعل بالرجس

المطلب الأول: الرجس لغة واصطلاحا:

1-الرجس لغة:

الرجس: القذر،[1] "الرَّجسُ: شدَّة الصَّوْت، فَكَأَن الرِّجسَ: العملُ الَّذِي يقبُحُ ذِكْرُهُ ويرتفعُ فِي القُبْحِ."[2]

2- الرجس اصطلاحا:

"كل مَا استقذر من العَمَل، وَالعَمَل الْمُؤَدِّي إِلَى الْعَذَاب وَالْعِقَاب وَالْغَضَب فَهُوَ رِجْس."[3]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

وصف الله تعالى بعض الرذائل من الذنوب والمعاصي في القرآن الكريم بألفاظ تنفر السامع منها، ومن هذه الأوصاف وصف الرذيلة بالرجس الذي يدل على القذارة، فكأن فاعل الرذيلة فاعل للقذارة، فعليه أن ينفر من الرذيلة كما ينفر من القذارة، فالنفس البشرية تنفر من كل ما هو مستقذر.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على وصف الفعل بالرجس:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾[الحج:30].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ٱلرِّجْسَ﴾: "الشيء القذر."[4]

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج933/3)، مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص421).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج307/10).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص465).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج385/14).

﴿ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾: الأوثان: جمع وثن، "الْوَثَنُ: التِّمْثَالُ...وَأَصْلُهُ مِنْ وَثَنَ الشَّيء: أَيْ أَقَامَ فِي مَقَامِهِ، وَسُمِّيَ الصَّنَمُ وَثَنًا لِأَنَّهُ يُنْصَبُ وَيُرْكَزُ فِي مَكَانٍ فَلَا يُبْرَحُ عَنْهُ."[1]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تبارك وتعالى في هذه الآية بترك عبادة الأصنام،[2] و"سميت رجسا تقبيحا لها وتنفيرا منها،"[3] ووصف الله تعالى الأصنام بالرجس على طريق التشبيه، فكما أنكم تنفرون بطباعكم عن النجاسات والقاذورات، فعليكم أن تنفروا عن عبادة الأصنام مثل تلك النفرة،[4] وهذا "غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها."[5]

وعبادة الأصنام أعظم من التلوث بالقاذورات والنجاسات، فيكون وجوب تجنب عبادة الأصنام أوكد من وجوب تجنب النجاسات، لأن نجاسة الأوثان ليست نجاسة عينية،[6] بل نجاسة معنوية، لأن الذي يعبدها وهو معتقد في إلهيتها في نفسه كمن علقت النجاسات في جسده،[7] فلا تزول هذه النجاسة إلا بالإيمان بالله تعالى كما لا تجوز الطهارة إلا بالماء.[8]

وحرف الجر ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ لا يفيد بأن بعض الأصنام رجس يؤمر باجتنابه دون غيرها، بل لبيان مجمل الرجس، فالرجس لفظ عام يتناول أكثر من شيء، فهو أعم من الأوثان، والمقصود هنا هو بعض أنواعه التي هي الأوثان، فتكون ﴿مِنَ﴾ ههنا

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج385/14)، يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني(ج534/3).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج535/16).

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج226/9).

(4) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج153/3)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج439/2).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج70/4).

(6) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج223/23).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج253/17).

(8) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج386/14)، فتح القدير، الشوكاني(ج534/3).

لتخليص جنس من أجناس أي: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ جِنْسِ الْأَوْثَانِ،[1] فليس في هذا الموضع نهي عن كل الأرجاس، ويكون النهي عن باقي الأرجاس في مواضع أخرى.[2]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾[الأنعام:145].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**أَجِدُ**﴾: "أَظْفَرُ... وَهُوَ هُنَا مَجَازٌ فِي حُصُولِ الشَّيْءِ وَبُلُوغِهِ."[3]

﴿**مُحَرَّمًا**﴾: أي: "طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها،"[4] أو"حيواناً حرم أكله."[5]

﴿**طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ**﴾: "آكِلٌ يَأْكُلُهُ."[6]

﴿**دَمٗا مَّسۡفُوحًا**﴾: المسفوح هو: المصبوب السائل الجاري كالدم في العروق،[7] "وجعل الله هذا فرقا بين القليل والكثير."[8]

﴿**فِسۡقًا**﴾: أصل الفسق: الخروج عن الشيء، وفي الشرع هو الخروج عن الإيمان، فلذلك يوصف به الفعل الذي يكون سببا في لفسق فاعله وخروجه عن الطاعة،[9] والمقصود به الذبائح

---

(1) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج425/3)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج153/3)، مفاتيح الغيب، الرازي (ج223/23).

(2) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج386/14).

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-أ/137).

(4) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج72/2)، يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج186/2)

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج544/1).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج94/9)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج544/1).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج633/9)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج300/2)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج72/2).

(8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج356/2).

(9) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-أ/139).

التي يخصون بها أصنامهم، فسُمِّيَ ما ذكر عليه غير اسم اللَّه فِسْقاً،[1] وذلك لتوغله في الفسق.[2]

﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: "الإهلال: رفع الصوت،"[3] والمقصود هو: "رفع الصوْتِ على ذَبْحِهِ باسمِ غَيْر اللَّهِ تعالى، وكانوا يذكرون أسماءَ أوثانهم على ذَبَائحهم،"[4] "أي ذُبح على اسم الأصنامِ،"[5] فهي صفة موضحة ومبينة للفسق.[6]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين أنه لا محرم من المطعومات عند الله تعالى بما أوحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أربعة أصناف من المأكولات: وهي الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله تعالى، كالذبائح التي كان المشركون يذبحونها لأصنامهم، فعن ابنِ عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: "كان أهلُ الجاهلية يأكلُون أشياءَ ويتركُونَ أشياءَ تقذُّراً، فبَعَث الله عزّ وجلّ نبيَّه صلَّى الله عليه وسلم، وأنزل كتابَه، وأحَلَّ حلالَه وحَرَّم حرامَه، فما أحَلَّ فهو حَلالٌ، وما حَرَّمَ فهو حَرامٌ، وما سَكَتَ عنه فهو عَفْوٌ، وتلا: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ إلى آخر الآية."[7]

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج300/2)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج357/2).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج73/2)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج187/2).

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج431/4).

(4) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج300/2)، يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج545/1).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج194/3).

(6) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج187/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج194/3).

(7) سنن أبي داوود: أبو داوود، أول كتاب الأطعمة/باب ما لم يُذكَرْ تحريمه، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط و محَمَّد بللي، ج618/5: رقم الحديث 3800، وذكر الأرنؤوط أن إسناده صحيح.

وفي هذا إعلام من الله تعالى أن التحريم والتحليل لا يكون إلا من عند الله تعالى بوحيه لرسوله صلى الله عليه وسلم،[1] وفيه تشريع من الله تعالى ببيان هذه المحرمات التي أوحى الله تعالى بها إليه.[2]

والوحي المنفي هو مطلق الوحي في الكتاب والسنة، أو ما أوحى الله تعالى به في القرآن الكريم،[3] أو هو الوحي النازل بغير القرآن الكريم، لأنه لا يوجد تحريم في القرآن الكريم – في ما نزل قبل هذه الآية– للميتة والدم ولحم الخنزير،[4] والذي يرجحه الباحث أن المقصود هو مطلق الوحي من عند الله رب العالمين إذ لا دليل على التخصيص.

وتخصيص التحريم على الطاعم وهو آكل الطعام في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾، يدل على أن الآية قاصرة على بيان المحرم من المأكولات،[5] أما المحرمات من غير المأكولات فتحريمها في مواضع أخرى.

ثم ذكر الله تعالى الأصناف المحرمة وهي: الميتة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، والذبائح التي تذبح لغير الله تعالى، أما الدم المسفوح فقد كانوا يأكلونه كما يأكلون اللحم،[6] فيجمعونه ثم يجففونه ثم يشوونه، أو يخلطون الدم بالوبر ويسمونه (العِلهِز)،[7] فدل تخصيص الدم المسفوح بالتحريم على أن غير المسفوح حلال ومعفو عنه،[8] "فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال."[9]

واختلف في الضمير العائد في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ إلى قولين:

---

(1) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج300/2)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج186/2).

(2) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج80/9).

(3) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج186/2).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8–أ/137).

(5) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج8–أ/137–138).

(6) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج300/2).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8–أ/137).

(8) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج633/9).

(9) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج544/1).

الأول: أن الضمير عائد إلى لحم الخنزير، لقذارة لحمه بسبب أكله للنجاسات،[1] وتفيد تقرير حرمة أكل لحم الخنزير،[2] و"تَنْبِيهٌ عَلَى ذَمِّهِ، وَهُوَ ذَمٌّ زَائِدٌ عَلَى التَّحْرِيمِ، فَوَصْفُهُ بِهِ تَحْذِيرٌ مِنْ تَنَاوُلِهِ، وَتَأْنِيسٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِتَحْرِيمِهِ، لِأَنَّ مُعْظَمَ الْعَرَبِ كَانُوا يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ بِخِلَافِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ فَمَا يَأْكُلُونَهَا إِلَّا فِي الْخَصَاصَةِ."[3]

الثاني: أن الضمير يعود إلى جميع ما قبله ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾، ويكون الكلام على تأويل المذكور، أي أن المذكور رجس، لما في أكل الميتة والدم ولحم الخنزير من المفاسد البدنية، وهذا القول هو الراجح.[4]

والمحرمات من المأكولات كانت مقصورة على هذه الأصناف الأربعة حتى نزول هذه الآية، فهي آية مكية، لأن سورة الأنعام كلها مكية على الصحيح، ثم حرمت أصناف أخرى في المدينة، كالمنخنقة والموقوذة والمتردية وغير ذلك.[5]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ببيان أنها رجس وقذر يجب على كل عاقل اجتنابه.

---

(1) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج187/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج194/3).

(2) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج194/3).

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-أ/139).

(4) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج8-أ/138-139).

(5) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج80/9)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-أ/139-140).

المبحث الثالث

أسلوب جعل الفعل سببا للعن

المطلب الأول: اللعن لغة واصطلاحا:

1- اللعن لغة:

"اللَّعْنُ: الإبْعادُ والطَّرْد مِنَ الْخَيْرِ، وَقِيلَ: الطَّرْد والإبعادُ مِنَ اللَّهِ تعالى، وَمِنَ الخَلْق السَّبُّ والدُّعاء، واللَّعْنةُ الاِسْمُ، وَالْجَمْعُ لِعانٌ ولَعَناتٌ...وَرَجُلٌ لَعِينٌ ومَلْعُونٌ، وَالْجُمَعُ مَلاعِين،"[1] "اللَّعِينُ: (الشَّيْطانُ)، صفَةٌ غالِبَةٌ لأنَّه طُرِدَ مِنَ السَّماءِ؛ وقيلَ: لأنّه أُبْعِدَ مِن رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى،"[2] "ويقال للذئب لعين، وللرجل الطريد لعين."[3]

2- اللعن اصطلاحا:

"اللَّعْنُ: الطّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره."[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

لعن الله تعالى في كتابه العزيز أفعالا لينفر من فعلها لأنها توجب اللعنة من الله تعالى، ولعن أوصافا لأقوام سابقين حتى يُنَفِّرَ من تلك الأوصاف، فلا يتصف المؤمنون بما اتصف به السابقون من الرذائل فيستحقون ما استحق الأولون من اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى.

والله تعالى إذا لعن فعلا فإنه لا يلعنه إلا لأنه فعل فيه ضرر عظيم إما على الأفراد أو على المجتمعات في الدنيا والآخرة، فاستحق فاعله الطرد من رحمة الله تعالى.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للعن:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[النور:23]

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (ج13/387).

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج36/119).

(3) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص809).

(4) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي (ص741).

أ- المفردات اللغوية:

﴿يَرْمُونَ﴾: بِالْفَاحِشَةِ.

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: الْعَفِيفَاتِ.

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: بمعنى غافلات عن الفواحش،[1] "والغافلة، عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة،"[2] وهذا يدل على كمال الطهارة والنزاهة،[3] وهن: "السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهنّ لم يجربن الأمور...فلا يَفطنّ لما تَفطن له المجربات العَرَّافات"[4] و"هُنَّ اللَّاتِي لَا عِلْمَ لَهُنَّ بِمَا رُمِينَ بِهِ. وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ وُقُوعِهِنَّ فِيمَا رُمِينَ بِهِ لِأَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّيْءَ لَا يَكُونُ غَافِلًا عَنْهُ."[5]

﴿لُعِنُواْ﴾: "أُبْعِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تعالى،"[6] وإن كان القاذف مؤمنا فتكون لعنته بإقامة الحد والإبعاد والهجر ونزوله عن رتبة العدالة،[7] فلا تقبل لهم شهادة أبدا.

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى في هذه الآية لعنه في الدنيا والآخرة لمن يرمي النساء العفيفات الغافلات عن فعل الفواحش غفلة لا يخطر ببالهن معها ارتكاب أي فاحشة، فهن المؤمنات حق الإيمان بالله تعالى وبشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر الطبري رحمه الله تعالى اختلاف أهل التأويل في ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾، ثم رجح أنها نزلت في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، ولكن حكمها عام في من كان بنفس الصفة التي وصفها الله تعالى بها، والدليل على ذلك عموم اللفظ من دون تخصيص له.

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج226/17).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج289/3).

(3) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج21/4).

(4) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج221/3)، يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج496/2).

(5) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (191/18).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج226/17).

(7) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج174/4)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج183/15).

واللعنة والعذاب العظيم الذي توعدهم الله تعالى به إن ماتوا قبل توبتهم، أما من تاب بعد ذلك فإن الله غفور رحيم، ودليله استثناء الله تعالى في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور:5][1]

"أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْمُحْصَنِينَ فِي الْقَذْفِ كَحُكْمِ الْمُحْصَنَاتِ قِيَاسًا وَاسْتِدْلَالًا،"[2] فلا يوجد فرق بين قذف الرجل والمرأة في ذلك، إلا أن تخصيص المحصنة يدل على أن قذف النساء أشد من الرجال خطورة على المجتمع، وكذلك فهو عام في كل قاذف فالآية "تَعُمُّ كُلَّ قَاذِفٍ وَمَقْذُوفٍ مِنَ الْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحَصنِينَ...وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِمَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْأُصُولِ مِنْ أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السبب."[3]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من القذف ببيان لعن القاذفين، "واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير،"[4] و"كَوْنُهُمْ مَلْعُونِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ وَعِيدٌ شَدِيدٌ."[5] وإن الوعيد الشديد للقاذف باللعن له في الدنيا والآخرة دافع كبير لكل ذي لب للنفور من القذف.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة:159].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ **يَكْتُمُونَ** ﴾: "الْكِتْمَانُ تَرْكُ إِظْهَارِ الشَّيْءِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَحُصُولُ الدَّاعِي إِلَى إِظْهَارِهِ."[6]

﴿ **ٱلْبَيِّنَٰتِ** ﴾: "الآيات المنزلة."

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج230/17).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج182/15)، يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني(ج20/4).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج20/4)، يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي(ج183/15).

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص565).

(5) مفاتيح الغيب، الرازي (ج354/23).

(6) مفاتيح الغيب، الرازي (ج140/4)، يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود(ج182/1).

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: "ما يستدل به من الأمارات،"[1] فهي: "الدَّلَائِلُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ،"[2] "وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم."[3]

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: "اسْمُ جِنْسٍ، فَالْمُرَادُ جَمِيعُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ،"[4] وقيل: "التوراة والإنجيل،"[5] وقيل التوراة.[6]

﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: "أَصلُ اللَّعْنِ: الطَّرْدُ،"[7] فهو "الإبعاد على وجه الطرد، وصار في التعارف دعاء إذا قيل: لعنه الله."[8]

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾: دعاؤهم الله عز وجل أن يلعنهم بقولهم: اللهم العنهم.[9]

ب- التفسير والبيان:

في هذه الآية يلعن الله تعالى كل من يكتم علما يعلمه، قد أنزله الله تعالى وبينه للناس في كتابه ليكون هدى لهم من ربهم عز وجل.

والذين حقت عليهم لعنة الله تعالى في الآية هم علماء اليهود والنصارى، وكتمان الحق الذي وقعوا به هو كتمان أمر نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فبعد ما عرفوا صفته وتأكدوا من نبوته في كتبهم التي جاءهم بها أنبياؤهم، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[الأعراف:157]، كتموه وأخفوه بل

(1) تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الأول: محمد بسيوني (ج356/1).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج140/4).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص77).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج482/2)، يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني(ج187/1).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج731/2)، يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج231/1).

(6) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج219/1).

(7) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج732/2).

(8) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق الجزء الأول: محمد بسيوني (ج356/1).

(9) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج733/2).

وأنكروه، فيكون المقصود من ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾، أي بعضهم، وهم أهل الكتاب فقط لا غير.

فهؤلاء الذين يكتمون العلم يستحقون اللعن من الله تعالى ومن اللاعنين، وهم الملائكة والمؤمنون،[1] "والمرادُ: بيانُ دوام اللعنِ واستمرارُه."[2]

والآية تعم كل كاتم علما فرض الله تعالى على العالِمين بيانه للناس وتعليمه لهم، وقد جاء في الحديث عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ.)[3]"[4] وقد رجح الرازي[5] أن الكلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئا من الدين، وليس خاصا في اليهود أو اليهود والنصارى، والدليل على ذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكذلك فإن ترتيب الحكم على الوصف يدل على أن الوصف علة للحكم، خاصة إذا كان الوصف يناسب الحكم، وذلك على ما تقرر في أصول الفقه، فيجب أن يعم الحكم عند عموم الوصف، وكذلك فإن فهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لهذا المعنى، فحملوا اللفظ فيها على العموم، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: (إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾).[6]

واستحقاق اللعن لا يكون في كل عالم إلا إذا كان قاصدا لكتمان العلم، أما إذا لم يقصد فلا إثم عليه، إلا إذا سئل فإنه يتعين عليه تبليغ العلم وإلا كان كاتما له.[7]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج2/729-737)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج1/219).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج1/182).

(3) سنن ابن ماجة: ابن ماجة، أَبْوَابُ السُّنَّةِ/بَابُ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، ج1/178: رقم الحديث 266. وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج2/731)، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الأول: محمد بسيوني (ج1/356)، فتح القدير، الشوكاني (ج1/187).

(5) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج4/140).

(6) صحيح البخاري: البخاري، كِتَابُ العِلْمِ/بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، تحقيق: محمد الناصر ج1/35: رقم الحديث118.

(7) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج2/481).

ثم اختلف في إظهار علوم الدين هل يكون فرض كفاية أم فرض عين، والأصح أنه إذا كان ظاهرا بحيث يستطيع كل واحد الوصول إليه فإنه لا يكون مكتوما.[1]

ت- لطيفة في قول الله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

ذكر الظرف ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ للتشنيع من حال الكاتم للبينات والهدى، وذلك أنه ما كتم إلا بعد بيانه ووضوحه، فهو يكتم أمرا ظاهرا بينا، فتنتفي معه كل الأعذار في عدم تبليغه.[2]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من كتمان العلم الذي يحتاجه الناس، ببيان أن كاتم العلم قد حلت عليه لعنة من الله تعالى وممن تجوز منهم اللعنة من الملائكة والمؤمنين، ففيها "مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، فَإِنَّ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ تعالى، وَلَعَنَهُ كُلُّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ اللَّعْنُ مِنْ عِبَادِهِ، قَدْ بَلَغَ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالْخُسْرَانِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي لَا تُلْحَقُ، وَلَا يُدْرَكُ كُنْهُهَا."[3] والعياذ بالله تعالى من ذلك.

---

(1) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج97/1).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (67/2).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج187/1).

الفصل الثالث

التنفير بأسلوب الوصف بالخسران والخيبة والحرمان من الفلاح والتمثيل بصور تنفر منها النفوس

المبحث الأول

أسلوب الوصف بالخسران

المطلب الأول: الخسران لغة واصطلاحا:

1- الخسران لغة:

من خَسِرَ خَسْرا، وخُسْراً، وخُسْراناً، وخَسَارة فهو بمعنى: الضلال،[1] ويأتي بمعنى الهلاك،[2] وإذا كان في البيع يقصد به انتقاص رأس المال،[3] ويستعمل في الممتلكات المادية كالمال وفي الممتلكات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه الخسران المبين كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الزمر:15]، وكل خسران في القرآن الكريم فهو على هذا المعنى إلا ما كان متعلقا بالممتلكات المادية.[4]

2- الخسران اصطلاحا:

"أصله النقصان، ومنه قيل للتاجر: إذا وضع أنه خسر ثم كثر حتى، قيل لكل من سعى في شيء فأداه إلى مكروه خاسر." [5]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

يسعى الإنسان في حياته إلى النجاح والفلاح، ويحذر من الخسران في كل أموره وخاصة ما يتعلق بالأمور الدنيوية في القضايا المالية والتجارية، فهذا من الخسران، ولكن الخسران الحقيقي الذي يجب على المسلم أن يحذر منه هو خسران الدين والأجر والثواب والفوز برضوان

---

(1) يُنظَرُ: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج72/5).

(2) يُنظَرُ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج168/1)، وتاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج164/11).

(3) يُنظَرُ: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج72/5)، وتاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج164/11).

(4) يُنظَرُ: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي (ص281-282).

(5) الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان (ص 205).

الله تعالى ودخول الجنة يوم القيامة، لأن تلك الخسارة هي الخسارة الحقيقية التي ليس بعدها خسارة، فهي الخسارة الأبدية، لذلك نجد أن الله تبارك وتعالى نفر من كل عمل يؤدي إلى خسارة الإنسان، بل أن الله تعالى شدد في التنفير من خلال وصف الخسران بالمبين في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[الزمر :15].

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الوصف بالخسران:

المثـــال الأول: قـــال الله تعـــالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:85].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**يَبْتَغِ**﴾: يطلب مع رغبة وحب للشيء وجعله هدفا وغاية.

ب- التفسير والبيان:

ذكر علماء التفسير في الآية قولين:

القول الأول: أي ومن يطلب دينا غير دين الإسلام – بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام- ليدين به، فلن يقبله الله تعالى منه.[1]

القول الثاني: أن المقصود بالإسلام هو الاستسلام وإسلام الوجه لله تعالى، والخضوع للنظام الذي قرره الله تعالى لعباده خضوعا وطاعة واتباعا، لا ينحصر في النطق بالشهادتين، والتصديق بالقلب، وإقامة الشعائر الإسلامية من دون أن يكون لذلك أثر مادي وعملي ممثلا في منهج حياة موصول بالله تعالى.[2]

والذي يراه الباحث أن القولين لا يعارض أحدهما الآخر، لأن كلا منهما من لوازم الآخر.

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج555/5)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج303/3)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج309/2).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج392/1)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج309/2). في ظلال القرآن، سيد قطب (ج423/2).

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾: وهو عند الله تبارك وتعالى من الواقعين في الخسران يوم القيامة وهو الحرمان من الجنة ودخول النار،[1] أو أريد به تضييع الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها.[2]

والأبلغ من ذلك ما ذهب إليه الزمخشري في أن الخسران جاء مطلقا من دون تقييد ليشمل كل أنواع الخسران.[3]

وعليه تكون جملة: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ مستأنفة، ويحتمل أن تكون حالا من الضمير المجرور في ﴿مِنۡهُ﴾ أي حال كونه في الآخرة من الخاسرين،[4] أو أن تكون معطوفة على جواب الشرط.[5]

ولما كان الخسران للمبتغين دينا غير دين الإسلام، دل ذلك على أن من تدين بغير دين الإسلام، واطمأن به فالخسران له من باب أولى لأنه أشد وأقبح.[6]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾[النساء:119].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**وَلِيّٗا**﴾: الولي من الولاية، والولاية بمعنى النصرة، وَالْوِلَاء: لغة الْمُتَابَعَة، وَشرعا: مُتَابعَة فعل بِفعل، والوَلاء: لُغَة: الْقَرَابَة، وَشرعا: التناصر، فهو كالنسب من حيث التناصر والتعاون.[7]

---

(1) يُنظَرُ: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري (ج278/2)، صفوة التفاسير، الصابوني (ج209/1).

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج55/2)، يُنظَرُ: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج309/2).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج392/1).

(4) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج410/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود(ج55/2).

(5) يُنظَرُ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية (ج207/2).

(6) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج55/2).

(7) يُنظَرُ: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص941).

ب- التفسير والبيان:

يخبر الله تبارك وتعالى أن من يتبع الشيطان فيطيعه في ما أمر من الضلال ويمتثل له، ويؤثره على ما أمر الله تعالى به، ويتخذه وليا ونصيرا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا.[1]

والولاية تكون على وجهين:[2]

الأولى: أن يقصد بفعله موالاة الشيطان.

الثانية: ألا يقصد مولاة الشيطان، ولكنه يفعل فعلا يؤدي إلى موالاة الشيطان، فهو مواليه فعلا وعملا وإن لم يكن مواليه قصدا، كمن يكون مطيعا له بموافقته وإجابته إلى ما يدعو إليه وإن لم يكن يقصد أن يطيعه.

والخسران هو الهلاك،[3] لأن متبع الشيطان قد استبدل الجنة بالنار، وهذا هو غاية الخسران، فأي خسران هو أعظم وأقبح من هذا الخسران،[4] فهي خسارة لا يمكن للإنسان أن يستدركها،[5] وبذلك تكون الآية ظاهرة الدلالة في التنفير من موالاة الشيطان بنسبة الخسران إلى فاعلها.

ت-لطيفة في قول الله تعالى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

دل تقييد اتباع الشيطان بأنه من دون الله تعالى على أن اتباع الشيطان ينافي اتباع أمر الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.[6]

فالمسلم إما أن يكون مشغولا بطاعة الله تعالى أو أن يكون مشغولا بطاعة الشيطان، فهاتان الطاعتان لا تلتقيان، فالله تبارك وتعالى يأمرنا بالمعروف وما فيه صلاحنا و فلاحنا في الدنيا والآخرة، وإلى كل عمل يوصلنا إلى الفوز برضوانه وجنته، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج503/7).

(2) يُنظَرُ: التفسير البسيط، الواحدي، تحقيق الجزء الثالث: محمد الخضيري (ج275/3)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق الجزء الثالث: عادل بن علي الشِّدِي (ج275/3).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج503/7).

(4) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج429/1)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية (ج144/3).

(5) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج416/2).

(6) يُنظَرُ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية(ج144/3).

ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[البقرة:221]، والشيطان يأمرنا بالمنكر وكل ما فيه غضب من الله تعالى وسخط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[فاطر:6].

المبحث الثاني

أسلوب جعل الفعل سببا للخيبة

المطلب الأول: الخيبة لغة واصطلاحا:

1- الخيبة لغة:

الخيبة من خاب يخيب، وهو: الحرمان والمنع وعدم نيل المطلوب.[1]

2- الخيبة اصطلاحا:

الحرمان من الثواب،[2] والخسران،[3] وحرمان الطالب من مطلبه،[4] بعدم إدراك الصلاح والخير الذي التمسه لنفسه،[5] واليأس من رحمة الله تعالى،[6] وتشمل في معناها كل معاني الخسران والفشل والعجز.[7]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

يحرص الإنسان على الفلاح ويحذر من الخيبة، فالخيبة خسران وحرمان وهلاك، والعاقل بفطرته لا يقبل ذلك، بل يجتنبه ويجتنب كل فعل يؤدي إليه.

ولما أراد الله تعالى التنفير من بعض الرذائل بين أن الخيبة هي مصير فاعلها ومرتكبها، وذلك على عادة القرآن الكريم في التنويع في الأساليب المستخدمة في التنفير من الرذائل.

---

(1) يُنظَرُ: مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص308)، المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون(ج264/1).

(2) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج103/22)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج395/13).

(3) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج143/14).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج371/30).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج444/24).

(6) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج385/2).

(7) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج4791/9).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للخيبة:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾[طه:111].

أ- المفردات اللغوية:

﴿وَعَنَتِ﴾: "أَصْلُ الْعُنُوِّ الذُّلُّ."[1]

﴿ٱلۡوُجُوهُ﴾: ذكر الوجوه وأراد أصحابها،[2] وإسناد الخشوع والذل للوجوه لأنها محل ظهور آثارهما.[3]

﴿لِلۡحَيِّ﴾: الذي لا يموت، فله الحياة الدائمة الأبدية والبقاء المطلق الذي لا أول له ولا نهاية.[4] وحياة الله تعالى هي الحياة الحقيقية لأنها حياة ذاتية غير مكتسبة وغير مسبوقة بموت أو فناء وغير منتهية.[5]

﴿ٱلۡقَيُّومِ﴾: القائم على تدبير خلقه،[6] وهي صيغة مبالغة من قيامه على كل شيء بما يجب فيه.[7]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى حال الناس يوم القيامة عندما تأتي الخلائق كلها ذليلة لله تعالى، والخائب من يأتي ربه عز وجل وهو ظالم.

واختلفت الأقوال في المراد بقوله تعالى:﴿ٱلۡوُجُوهُ﴾، فيحتمل أنها وجوه العصاة والمجرمين فتصير وجوههم ذليلة مثل وجوه الأسارى، نحو قوله تعالى:

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج172/16)، يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج39/4).

(2) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج385/2).

(3) يُنظَرُ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (ج101/4).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج527/4).

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج312/16).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج171/16).

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج65/4)، بتصرف يسير.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الملك:27][1]، وتكون اللام في ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ بدل عن الإضافة، أي: وجوه المجرمين، وَأَمَّا وُجُوهُ أَهْلِ الطَّاعَاتِ فتكون ضَاحِكَة مُسْتَبْشِرَة، ويحتمل أن تكون ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ على العموم، فيكون المعنى المراد هو خضوع جميع الناس لله الواحد القهار.[2]

ثم يقرر الله تعالى بأن الخيبة كل الخيبة للظالمين، وأي خيبة لمن لقي الله تعالى وهو ظالم، "وكل من ظلم فهو خائب خاسر."[3]

"والظلم يعم الشرك والمعاصي، وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم، فخيبة المشرك على الإطلاق، وخيبة المعاصي مقيدة بوقت وحد في العقوبة،"[4] ورجح ذلك الشنقيطي في أضواء البيان.[5]

"والظلم مراتب ودرجات، أدناها أنْ تأخذ ما ليس لك وإن كان حقيراً لا قيمة له، أو تظلم غيرك بأنْ تتناوله في عِرْضه، ثم ترقى (في)[6] الظلم إلى أنْ تصلَ به إلى القمة، وهو الشرك بالله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:13]."[7]

وقد أفاد التنكير في قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا﴾ أي شيء من الظلم مهما قل،[8] و"إلى أن عموم الظلم عبء كبير."[9]

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج87/3-88)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج43/6).

(2) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج39/4)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج312/16).

(3) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج88/3).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج65/4).

(5) يُنظَرُ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (ج101/4).

(6) ليس في متن الكتاب، ولعلها ساقطة منه.

(7) تفسير الشعراوي، الشعراوي (ج9398/15).

(8) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج4791/9)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري (ج79/12).

(9) زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج4791/9).

وقيل إن الظلم هو الشرك، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأشده جعل المخلوق شريكا مع الله تعالى[1]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، فقد سمى الله تعالى في هذه الآية الشرك ظلماً.[2]

ت- لطيفتان:

اللطيفة الأولى: في قوله تعالى: ﴿حَمَلَ﴾:

أفاد لفظ الحمل دون غيره إلى أن الظلم حمل ثقيل وكبير على حامله، وهذا تحذير من الاستخفاف والاستهانة بالظلم. [3]

اللطيفة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾:

إما أن تفيد هذه الجملة بيان الاختلاف بين أهل الطاعة والصلاح وأهل الظلم، فبعد أن خضعت كل الوجوه لله رب العالمين، إلا أن الخيبة لا تكون إلا للظالمين، وذلك على معنى أن ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ عامة لكل الخلائق، أو أن تكون هذه الجملة تعليلا لبيان خيبة المجرمين، على معنى أن ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ خاصة بوجوه العصاة والمجرمين.[4]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من الظلم حيث بين أن الخيبة والخسران والحرمان لمن جاء ربه تعالى يوم القيامة وهو ظالم، وعندها تكون الخيبة الكبرى التي ليس بعدها خيبة، حيث يكون الوقوف عند رب العالمين ولا يملك الإنسان عندها سبيلا للرجعة ولا ينفعه ساعتها الندم.

---

(1) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج385/2).

(2) يُنظَرُ: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (ج101/4).

(3) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج4791/9)، تفسير الشعراوي، الشعراوي (ج9398/15).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج312/16).

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿**وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[الشمس:10].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**دَسَّىٰهَا**﴾: "أَصْلُهُ دَسَّسَهَا مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ،"[1] والمقصود تحقيرها بتصغير قدرها بالمعاصي.[2]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى أن الخيبة كل الخيبة لمن خذل نفسه فلم يسلك بها طريق الهدى والصلاح، بل سلك بها سبيل المعاصي والذنوب، "وحال بينها وبين فعل الخير."[3]

فالله تعالى ينفر من تدنيس النفس بالرذائل والذنوب والمعاصي ببيان أن مصير هؤلاء هو الخيبة والحرمان وعدم النجاح.

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي (ج103/22)، يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج371/30).

(2) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج488/5).

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج371/30).

المبحث الثالث

أسلوب جعل الفعل سببا في الحرمان من الفلاح

المطلب الأول: الفلاح لغة واصطلاحا:

1- الفلاح لغة:

"هُوَ البقاءُ فِي الْخيْر،"[1] والفوز،[2] والنجاة،[3] "وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُؤَذِّنِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ أَيْ: هَلُمُّوا إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ."[4]

2- الفلاح اصطلاحا:

الظفر وإدراك البغية، ففي الدنيا يكون بإدراك السعادة في الحياة، وفي الآخرة يكون بإدراك البقاء الذي ليس بعده فناء، والعز الذي ليس معه ذل، والغناء الذي الذي ليس بعده فقر، والعلم الذي ليس معه جهل.[5]

"وقَالُوا فِي الْفَلَاح: إِنَّه لَيْسَ فِي كَلَام الْعَرَب كلمة أجمع لخيري الدُّنْيَا وَالْآخِرَة مِنْهُ."[6]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

مدح الله تعالى المؤمنين في مواطن كثيرة فوصفهم بالفلاح والفوز ومنها قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[المؤمنون:1]، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[البقرة:5]، وذلك أن الفلاح والنجاح من الصفات الحميدة، والفلاح في الدنيا والآخرة هو غاية سامية لكل مسلم.

لذلك فإن الله تعالى لما أراد أن ينفر من بعض الرذائل كالكفر والظلم نفى الفلاح عن أهل تلك الصفات الذميمة، فيكون المجتنب لتلك الصفات قد فاز بالفلاح عند الله تعالى.

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج46/5).

(2) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص705).

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج392/1).

(4) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج480/2).

(5) يُنظَرُ: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص264).

(6) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري (908).

وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً.)[1] قال الشوكاني: "فليس بعد نفي الفلاح شيء من الوعيد الشديد،"[2] وذكر أيضا فيه: "أن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب."[3]

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا في الحرمان من الفلاح:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون:117].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**يَدْعُ**﴾: يعبد.

﴿**حِسَابُهُۥ**﴾: جزاؤه.[4]

﴿**لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ**﴾: "لَا يَنْجَحُ أَهْلُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ تعالى عِنْدَهُ، وَلَا يُدْرِكُونَ الْخُلُودَ وَالْبَقَاءَ فِي النَّعِيمِ،"[5] ولا يسعدون.[6]

ب-التفسير والبيان:

يبين الله تعالى أن من يعبد إلها آخر مع الله تعالى لا حجة ولا برهان له بأنه يستحق العبادة، فسوف يحاسبه الله تعالى على ما أذنب في حق الله تعالى، لأنه لا يفلح الكافرون.

---

(1) صحيح البخاري: البخاري، كتاب المغازي/كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ، تحقيق: محمد الناصر ج8/6: رقم الحديث 4425.

(2) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني (ص817).

(3) نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي (ج304/8).

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج441/9).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج134/17).

(6) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج278/3).

ت–لطيفتان:

اللطيفة الأولى: في قول الله تعالى: ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾:

وصف الله تعالى الإله الآخر المزعوم بصفة لازمة له ﴿لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، لأن الباطل لا برهان به ولا دليل عليه، وجيء به للتوكيد وبناء الحكم عليه للتنبيه على أنه لا يصح التدين بدين لا دليل على صحته، فكيف يصح التدين بدين قد قام الدليل على إثبات خلافه؟[1] واستدل العلماء منها على وجوب النظر والتفكر وعدم جواز التقليد.[2]

أو "جيء للتوكيد كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[الأنعام:38] لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان،"[3] "إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إلهية غير الله تعالى."[4]

اللطيفة الثانية: في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾:

دلت الآية على أن العقاب قد بلغ مبلغا بحيث لا يقدر أحد على حسابه إلا الله تعالى،[5] "وذلك تهديد وتوبيخ وتقريع بما لا يوصف،"[6] وفيها من النذير الشديد بالعقاب الأليم إذ حُصر الحساب على الله تعالى الواحد القهار.[7]

ونفي الفلاح عن الكافرين فيه تنفير شديد من الكفر، لأن الإنسان إنما يريد الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، " وكل ما يراه الناس على الكافرين من نعمة ومتاع، وقوة وسلطان في بعض الأحيان، فليس فلاحا في ميزان القيم الحقيقة. إنما هو فتنة واستدراج، ينتهي بالوبال في الدنيا، فإن ذهب بعضهم ناجين في الدنيا، فهناك في الآخرة يتم الحساب."[8]

---

(1) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج97/4)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج153/6).

(2) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج300/23).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج485/2).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج278/3).

(5) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج300/23).

(6) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج443/9).

(7) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج5129/10).

(8) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2483/4).

وقد تناسب افتتاح السورة مع آخرها في موضوع الفلاح، فبدأ الله تعالى السورة بتقرير فلاح المؤمنين فقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[المؤمنون:1] وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين.[1]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿**وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[الأنعام:21].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**ٱفۡتَرَىٰ**﴾: اختلق،[2] والافتراء: "الكذب المتعمد."[3]

﴿**أَظۡلَمُ**﴾: "الظلم وضع الشيء في غير موضعه وأشنعه اتخاذ المخلوق معبوداً."[4]

﴿**بِـَٔايَٰتِهِۦٓ**﴾: الآيات هي "العلامات والمعجزات،"[5] و"القرآن الكريم"[6] وتشمل الآيات الكونية الدالة على وجود الله تعالى.[7]

﴿**ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾: الكافرون.[8]

ب- التفسير والبيان:

يقرر الله تعالى لعباده أن لا أشد ظلما من ظلم من اختلق على الله تعالى الكذب، فادعى له الشريك الذي يعبد من دون الله تعالى، كما قال المشركون في عبادتهم للأوثان، أو ادعى له الولد أو الزوجة كما قالت النصارى في حق الله تعالى، أو كذب آيات الله وحججه وبراهينه التي جاء بها الأنبياء لإثبات صحة نبوتهم، ثم يقرر الله تعالى أنه لا فلاح لهؤلاء الظالمين.[9]

---

(1) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج4/97).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/401)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج1/496).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج7/172).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج1/496).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج2/277).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج8/401).

(7) يُنظَرُ: زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج5/2467).

(8) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج8/71).

(9) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج9/188).

والاستفهام يفيد التقرير، ويتضمن معنى النفي، أي لا أحد أظلم لنفسه، وفيه توبيخ للمشركين.[1]

وتقرير الظلم وشدته على من كان فيه أحد الوصفين، فكيف بمن جمع بين الوصفين وهما افتراء الكذب على الله تعالى و التكذيب بآيات الله تعالى، ولذلك قال ﴿أَوۡ﴾، ولم يقل(و) في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾،[2] "والمكذب بالآيات مفترٍ للكذب، ولكنهما مَنْحَيَان من الكفر."[3]

ثم يقرر الله تعالى نفي الفلاح عن الظالمين "أي لا يَظْفَرُونَ بِمطَالِبهمْ في الدنيا ولا في الآخرة،"[4] وفلاح الدنيا إنما هو الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح،[5] وإذا كان الفلاح منفيا عن الظالم فكيف بأشدهم ظلما؟[6]

والظلم كناية عن الشرك، فهو تعبير غالب في القرآن الكريم، لما فيه من التنفير من الشرك والذم فيه، فهو ظلم في حق الله سبحانه وتعالى في أن يُعبد ويُنزه عن الشريك، واعتداء على النفس بإلقائها في الهلاك في الدنيا والآخرة.[7]

ت- لطيفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

"فيه إشارة إلى أن مدّعي الرسالة لو كان كاذباً مفترياً على الله تعالى فلا يكون محلاً لظهور المعجزات."[8]

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج277/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج496/1)، زهرة التفاسير، أبو زهرة (ج2467/5).

(2) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج157/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج119/3)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص253).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج277/2).

(4) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج71/8).

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج172/7).

(6) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج119/3).

(7) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج1063/2).

(8) صفوة التفاسير، الصابوني (ج376/1).

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من الكفر بنفي الفلاح والفوز والنجاح عن أهله في الدنيا والآخرة، والله تعالى نسأل أن يوفقنا ويلهمنا الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا من المفلحين.

المبحث الرابع

أسلوب التمثيل للفعل بصور تنفر منها النفوس

المطلب الأول: التمثيل لغة واصطلاحا:

1- التمثيل لغة:

أصله من مادة مثل، و"مِثْل: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ،"[1] و"المِثْل: النظير، والمَثَل: السائر من أمثال العرب."[2]

2- التمثيل اصطلاحا:

"التمثيل: إثبات حكم واحدٍ في جزأين لثبوته في جزئي آخر، لمعنىً مشترك بينهما."[3]

والأمثال هي: "تَشْبِيهُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي حُكْمِهِ، وَتَقْرِيبُ الْمَعْقُولِ مِنْ الْمَحْسُوسِ، أَوْ أَحَدُ الْمَحْسُوسَيْنِ مِنْ الْآخَرِ."[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

للأمثال أهمية بالغة في بيان الكلام وتوضيحه وإبرازه على الصورة التي تحقق مراد المتكلم منه، وقد "أكثر الله تعالى في كتبه الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء،"[5] وقد اكتسب المثل أهميته من خلال تجسيد صورة تمثيلية حية تستقر معها المعاني المرادة في نفوس السامعين لتحقيق مقاصد المثل في الوعظ أو الذم أو التفخيم أو التحقير أو التنفير أو النهي، ذلك "أنّ التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المُتوهم من المُشاهد، فإن كان المُتَمَثَّل له عظيما كان المُتَمَثَّل به مثله، وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك."[6]

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج1816/5)، يُنظَرُ: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج379/30)، لسان العرب، ابن منظور(ج610/11).

(2) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص823).

(3) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد السود (ص66)، يُنظَرُ: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق: محمد عبادة (ص126).

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد إبراهيم (ج116/1).

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج49/1).

(6) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج125/1).

والمقصد الأساس للأمثال في كتاب الله تعالى هو الوعظ والتذكير، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الزمر:27]، ثم تأتي الفوائد الأخرى لضرب الأمثال لتخدم المقصد الأساس له.

وقد كثر في القرآن الكريم ضرب الأمثال التي تُنفِّر من الرذائل كالكفر والنفاق والغيبة والربا وغير ذلك، لأن الناس لما كانوا مختلفين فيما بينهم في الامتثال لنواهي الله تعالى، وكان المثل عند العرب أسلوبا بلاغيا راقيا، فقد جاء ضرب المثل القرآني لينفر من الرذائل من خلال تشبيهها وتشبيه فاعليها بأبشع الأوصاف والألفاظ التي لا يشك أحد في نُفرَة الناس منها.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على التمثيل للفعل بصور تنفر منها النفوس:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:12]

أ- المفردات اللغوية:

﴿**الظَّنِّ**﴾: هو التهمة المجردة عن السبب، كمن يُتهم بالفاحشة أو شرب الخمر ولم يظهر منه ما يدل على ذلك.[1]

﴿**إِثْمٌ**﴾: الإثم: "الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب،"[2] وقيل: الكذب،[3] ففي الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ.)[4]

---

(1) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج396/19)، فتح القدير، الشوكاني(ج76/5).

(2) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج370/4)، يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج136/5).

(3) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج151/5).

(4) صحيح البخاري: البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ/بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، تحقيق: محمد الناصر ج19/8: رقم الحديث6064.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾: "وَلَا يَتَتَبَّعْ بَعْضُكُمْ عَوْرَةَ بَعْضٍ، وَلَا يَبْحَثْ عَنْ سَرَائِرِهِ،"[1] "يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه."[2]

﴿وَلَا يَغْتَبْ﴾: الغيبة مشتقة من غاب يغيب، وهي قول السوء في الغائب، فهي: ذِكْرُ الْعَيْبِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، فلا تقولوا بِظَهْرِ الْغَيْبِ مَا يَكْرَهُ الْمَقُولُ فِيهِ ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ فِي وَجْهِهِ،[3] بشرط أن يكون ذلك القول صادقا أي فيه، فإن لم يكن فيه فهو البهتان،[4] للحديث الذي يرويه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ.)[5]

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: "الْكَرَاهَةُ هُنَا: الِاشْمِئْزَازُ وَالتَّقَذُّرُ."[6]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى باجتناب أكثر الظن، وهو الظن السيء ممن لا يظهر منه إلا الخير، أما أهل الفسق والفجور فيجوز الظن بهم بقدر ما ظهر منهم من السوء.[7]

"والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة،"[8] فإذا وقع التحرز من الكثير وقع التحرز من القليل.[9]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج374/21)، يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج151/5).

(2) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج370/4).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج376/21)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج151/5).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج401/19).

(5) صحيح مسلم: مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج2001/4: رقم الحديث 2589.

(6) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/26).

(7) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج36/5-37).

(8) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج370/4).

(9) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج355/3).

ولم ينه الله تعالى عن كل الظن لأن بعض الظن خير، والله تعالى قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض خيرا، وأن يقولوه وإن لم يكونوا على يقين منه، فالله تعالى يقول: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[النور:12].[1]

والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عن الظنون الجائزة هي الأمارة الصحيحة، فإذا ظهرت الأمانة وظهر الصلاح من المظنون به فلا يجوز إساءة الظن به، أما إذا ظهر منه الخبث والفساد فالظن به على قدر ما ظهر منه.[2]

ثم نهى الله تعالى عن التجسس على عورات المسلمين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، بل عليهم أن يقنعوا بما ظهر من الناس لا أن يتحروا أسرارهم ودواخلهم.[3]

وقد نهى الله تعالى عن التجسس بعد النهي عن الظن، لأن الظن قائم على التهمة المجردة عن الدليل فتنشأ الحاجة إلى التجسس للبحث عن الدليل لإثبات تلك التهمة فنهى الله تعالى عنه.[4]

ثم ذكر الله تعالى مثلا عن الغيبة قصد منه التنفير منها، فشبه حال المغتاب بآكل لحوم الآدميين الميتة، وكأن الذي يغتاب أخاه قد أكل من لحمه وهو ميت، والغرض من هذا التمثيل هو بث الاشمئزاز في نفس المغتاب، وأنه كما يكره ذلك ويشمئز منه فعليه أن يكره الغيبة وينفر منها.

و"مَثَّلَ اللَّهُ تعالى الْغِيبَةَ بِأَكْلِ الْمَيْتَةِ، لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَعْلَمُ بِأَكْلِ لَحْمِهِ كَمَا أَنَّ الْحَيَّ لَا يَعْلَمُ بِغِيبَةِ مَنِ اغْتَابَهُ،"[5] إلا أن الميت لو أحس بأكل لحمه لتألم، وكذلك الذي يذكر بسوء لو علم بالغيبة التي وقعت في حقه فإنه يتألم.[6]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج373/21).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج370/4)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج397/19).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج374/21).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج396/19).

(5) المرجع السابق (ج396/19).

(6) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض(ج551/17).

ت- لطيفة في قول الله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾:

ذكر أهل التفسير جملة من المبالغات التي دلت عليها الآية: أولها: الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ﴾، فدل هذا على أن أيا من المخاطبين لا يحب ذلك، وثانيها: أنه خاطبهم بلفظ المحبة لأمر شديد الكراهة، فقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، ولم يقل: (أيتحمل أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)، وذلك لتفظيع حال صاحب الغيبة، وثالثها: أنه جعل الذي وقعت عليه الغيبة أخا لصاحب الغيبة، فهو شخص تربطه به علاقة أخوة، فهو ليس من أعدائه بل من إخوانه، ورابعها: أنه جعل هذا الأخ إنسانا ميتا.[1]

وفي ذلك دلالة على أن عرض الإنسان لا يقل عن لحمه، فهو يتألم إن ذكر بسوء، بل إن العرض أشرف من اللحم، فإذا لم يجز للإنسان أكل لحم أخيه، فعليه أن يترك أذاه في عرضه.[2]

"وَفِي هَذَا مِنَ التَّنْفِيرِ عَنِ الْغِيبَةِ وَالتَّوْبِيخِ لها وَالتَّوْبِيخِ لِفَاعِلِهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَيْهِ مَا لَا يَخْفَى، فَإِنَّ لَحْمَ الْإِنْسَانِ مِمَّا تَنْفِرُ عَنْ أَكْلِهِ الطِّبَاعُ الْإِنْسَانِيَّةُ، وَتَسْتَكْرِهُهُ الْجِبِلَّةُ الْبَشَرِيَّةُ، فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ مُحَرَّمًا شَرْعًا."[3]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:31]

أ- المفردات اللغوية:

﴿خَرَّ﴾: سقط.[4]

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج372/4)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج136/5)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج26/255-256).

(2) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج183/4)، يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج551/17).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج77/5).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج439/2).

﴿فَتَخْطَفُهُ ﴾: "الْخَطْفُ وَالْخَطَفُ: أَخْذُ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ سَوَاءً كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمْ كَانَ فِي الْجَوِّ وَمِنْهُ تَخَطُّفُ الْكُرَةِ،"[1] أو المراد أنها تقطعه بمخالبها.[2]

﴿ تَهْوِي ﴾: تُسقطه،[3] "وَالْهُوِيُّ: نُزُولُ شَيْءٍ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى الْأَرْضِ،"[4] أو "تميل وتذهب،"[5] أو "تقذفه وترمي به."[6]

﴿سَحِيقٍ﴾: بعيد،فلا نجاة لمن حل فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك:11].[7]

ب- التفسير والبيان:

يضرب الله تعالى في هذه الآية مثلا للمشرك بربه سبحانه وتعالى في مشهد تمثيلي يجعل الإنسان وكأنه ينظره من أمامه لينفره من الشرك الذي هو أم الرذائل، فشبه حال المشرك بالله عز وجل بحال الذي سقط من السماء فينتظره هلاكه المحتوم، فإما أن تلتهمه الطيور الجارحة وتقطعه وتمزقه في حواصلها، أو أن تهوي به الريح إلى الأرض في مكان بعيد لا نجاة له فيه أبدا.

ويجوز في هذا التشبيه أن يكون تشبيها مفرقا، فيقابل كل جزء من أجزاء الممثل بأجزاء الممثل به، فيشبه الإيمان بالسماء، وتجمع بينهما صفة العلو، والمشرك الذي اجتنب الإيمان بالساقط منها، والشيطان الذي يورده المهالك بالريح التي عصفت به فألقته في المهالك السحيقة، والأهواء الباطلة بالطير التي تتخطفه، ويجوز فيه أن يكون تشبيها مركبا، فلا يقابل كل جزء من أجزاء الممثل بأجزاء الممثل به، فيكون مقصد التشبيه بيان حال من أشرك بالله تعالى أنه قد

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/17).
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج387/14).
(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج439/2).
(4) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/17).
(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج256/3).
(6) فتح القدير، الشوكاني (ج534/3).
(7) يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج425/3)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج388/14)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/17).

أهلك نفسه هلاكا محتوما، فهو إما أن تتخطفه الطير فتمزقه قطعا في حواصلها قبل أن يصل إلى الأرض، أو أن تقذفه الريح في مكان سحيق.[1]

وقد بين ابن المُنَيِّر[2] في الانتصاف أن من جماليات التشبيه المفرق أن المثل يدل على الإشراك بعد إيمان وهو الردة، ويدل على الإشراك الأصلي، فأما إذا تأولناه على المعنى الأول وهو الردة فيكون المرتد قد علا بإيمانه إلى السماء ثم سقط منها، والعلو دليل الإيمان والسقوط دليل الردة، وأما إذا تأولناه على المعنى الثاني وهو الشرك الأصلي، ذلك لأن المشرك قد مكنه الله تعالى من الإيمان والعلو والسمو به إلا أنه اختار الكفر، فكان كالذي سقط من السماء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة:257]، فجعلهم الله تعالى مُخرَجين من النور من دون أن يدخلوه وما دخلوه أصلا، ولكنهم كانوا متمكنين من الدخول فيه.[3]

فالكفار حسب تقسيم الآية قسمان: قسم راسخ في الكفر، فهو كالذي ألقته الريح في الوادي السحيق، والقسم الثاني: متذبذب ومتشكك، فهو كالذي اختطفته الطير، فهو ممزق بين الطيور يتخطفونه من بعضهم من طائر لآخر.[4]

وقيل بأن هذا المثل هو لبيان أن المشرك يوم القيامة لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا كحال الذي يسقط من العلو فلا يملك لنفسه شيئا كذلك.[5]

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج155/3)، الأمثال في القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم بن محمد (ص45-46)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي(ج71/4).

(2) ابن المُنَيِّر السِّكَنْدَري،(ت:1223-1284م) أحمد بن محمد بن منصور: من علماء الإسكندرية وأدبائها، ولي قضاءها وخطابتها مرّتين. له تصانيف، منها (تفسير) و (ديوان خطب) و (تفسير حديث الإسراء) على طريقة المتكلمين. و(الانتصاف من الكشاف). [الأعلام، الزركلي (ج220/1).]

(3) يُنظَرُ: الانتصاف لابن المنير، [الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج155/3).]

(4) يُنظَرُ: الانتصاف لابن المنير،[الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج155/3)]، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/17).

(5) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج387/14).

"والغرض من هذين التشبيهين التمثيليين تقبيح حال الشرك والتنفير منه،"[1] من خلال هذا التصوير الرهيب المهيب الذي يعتمد على سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها،[2] والذي لا يقبله عاقل وينفر منه كل من آتاه الله تعالى بصيرة في عواقب الأمور.

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج227/9).

(2) يُنظَرُ: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2421/4).

الفصل الرابع

التنفير بأسلوب النهي بصريح النهي والتحريم والتأثيم والنهي بمادة (نهى)

المبحث الأول

أسلوب الإتيان بصريح النهي (لا تفعل)

المطلب الأول: النهي لغة واصطلاحا:

1- النهي لغة:

"النهي: خلاف الأمر،"[1] "نَهاه يَنْهاه نَهْياً، فانْتَهى وتَناهَى...وتَناهَوْا عَن الشَّيْء: نَهى بَعضهم بَعْضًا...وَالِاسْم النُّهْيَةُ. وَفُلَان نَهِيٌّ فلَان، أَي يَنهاهُ. وَنَفس نَهاةٌ: مُنْتَهِيَةٌ عَن الشَّيْء،"[2] "وَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى أَيْ حَرَّمَ. وَالنُّهْيَةُ الْعَقْلُ لِأَنَّهَا تَنْهَى عَنْ الْقَبِيحِ وَالْجَمْعُ نُهًى."[3]

قال الكفوي: "النهي لغة: الزّجر عَن الشَّيْء بِالْفِعْلِ أَو بالْقَوْل".[4]

2- النهي اصطلاحا:

"استدعاء التّرْك بالْقَوْل مِمَّن هُوَ دونه على سَبِيل الْوُجُوب، وَيدل على فَسَاد الْمنْهِي عَنهُ."[5]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نفر الله تعالى في كتابه العزيز من الرذائل بالنهي عنها بصريح النهي بلا الناهية، وكما قال أهل العلم فإن "مُقْتَضى النَّهْي قبح الْمنْهِي عَنهُ كَمَا أَن مُقْتَضى الْأَمر حسن الْمَأْمُور بِهِ، لِأَن الْحَكِيم لَا ينْهى عَن شَيْء إِلَّا لقبحه، كَمَا أَنه لَا يَأْمر بِشَيْء إِلَّا لحسنه."[6] لذلك فقد أجمع العلماء على أن الله تعالى إذا نهى عن شيء فإن ذلك النهي يقتضي الانتهاء منه فورا، أما إذا أمر بشيء ففيه خلاف أيكون على الفور أم على التراخي؟[7]

---

(1) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص844).

(2) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج384/4).

(3) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج629/2).

(4) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق:عدنان درويش ومحمدالمصري(ص904)

(5) الورقات، الجويني، تحقيق: عبد اللطيف العبد (ص 15).

(6) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق:عدنان درويش ومحمدالمصري(ص904)

(7) يُنظَرُ: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، عباس (ص 154).

والنهي في القرآن الكريم إما أن يكون لمحظور أو مكروه، فالمحظور ما ترتب على النهي زجر ولوم على فاعله، وغير ذلك فهو المكروه.(1)

والنهي له حرف واحد، وصيغة واحدة، فالحرف هو (لا) الجازمة، والصيغة هي صيغة لا تفعل وليس له صيغة أخرى.(2)

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الإتيان بصريح النهي بصيغة (لا تفعل):

قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّـٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾[الإسراء: 22-39]

أ- المفردات اللغوية:

﴿أُفّٖ﴾: "صوت يدل على تضجر."(3)

---

(1) يُنظَرُ: البرهان في أصول الفقه، الجويني، تحقيق: صلاح عويضة (ج108/1).

(2) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق: علي دحروج (ج1730/2).

(3) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج642/2).

﴿ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾: "وَلَا تَزْجُرْهُمَا.[1]

﴿ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ﴾: "خَوْفَ إِقْتَارٍ وَفَقْرٍ."[2]

﴿ مَرَحًا ﴾: "الْمَرَحُ: شِدَّةُ ازْدِهَاءِ الْمَرْءِ وَفَرَحِهِ بِحَالِهِ فِي عَظَمَةِ الرِّزْقِ."[3]

ب- التفسير والبيان:

اشتملت الآيات على مجموعة من الرذائل المنهي عنها من خلال النهي الصريح وهي بصيغة (لا تفعل) ومن هذه النواهي:

قول الله تعالى:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾:

ينهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ شريك مع الله تعالى في عبادته، والكلام معني به كل من لزمه التكليف من المؤمنين، ويكون الخطاب مقصودا به كل واحد،[4] وجاء بصيغة المفرد ولم يأت بصيغة الجمع ليشعر كل واحد بأنه أمر خاص به، صادر لشخصه، فالعقيدة مسألة شخصية، يسأل عنها كل فرد بذاته.[5]

وقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾:

ينهى الله تعالى عن التأفف من الوالدين إذا صدر منهما ما يُتَأذى منه، ولا يجوز معهما إلا الصبر، واحتساب الثواب عند الله تعالى،[6] والنهي عن التأفف يقصد منه النهي عن أقل الأذى الذي هو باللسان، وأقله كلمة، فما زاد عليه في الأذى فهو فالنهي فيه من باب أولى.[7]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج548/14).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج577/14)

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج103/15).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج541/14)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (54/8).

(5) يُنظَرُ: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2220/4).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج545/14).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج67/15).

ثم ينهى الله تعالى عن زجر الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، والفرق بينه وبين الذي قبله من النهي عن التأفف، أن النهي عن التأفف للنهي عن إظهار أقل الضجر، أما النهي عن زجرهما فهو للنهي عن مخالفتهما بالرد أو التكذيب.[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾:

يختلف حد التبذير من حال لحال، فإنفاق المال القليل في الفساد يعد من الإسراف، أما إنفاقه في أوجه الخير والبر فليس بإسراف، ويبلغ حد الإسراف في المباحات إذا زاد عن حده.

فالنهي لا يتعلق بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، لأن التبذير لا يكون في إنفاق المال في حقه، ولو كان أكثر من حاجة الفقير المحتاج،[2] ولمّا سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله تعالى عنه عَنِ الْمُبَذِّرِ فَقَالَ: (الْإِنْفَاقُ فِي غَيْرِ حَقٍّ.)[3]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾:

ينهى الله تعالى عن البخل في الإنفاق في حقوق الله تعالى، وكذلك ينهى عن الإفراط في الإنفاق، حتى لا يبقى شيء ينفقه لسائل أو محتاج.[4]

"والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن، والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا."[5]

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (59/8).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج78/15-79).

(3) الأدب المفرد: البخاري، بَابُ الْمُبَذِّرِينَ، تحقيق: محمد عبد الباقي ص159: رقم الحديث: 444. وقال الألباني: "حديث صحيح الاسناد". (صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، الألباني (ص 171)).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج573/14)

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2223/4).

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾:

ينهى الله تعالى عن قتل الإناث خشية الفقر،[1] حيث إن "الْمُرَادُ بِالْأَوْلَادِ خُصُوصُ الْبَنَاتِ لِأَنَّهُنَّ اللَّاتِي كَانُوا يَقْتُلُونَهُنَّ وَأْدًا، وَلَكِنْ عَبَّرَ عَنْهُنَّ بِلَفْظِ الْأَوْلَادِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَظَائِرِهَا لِأَنَّ الْبِنْتَ يُقَالُ لَهَا: وَلَدٌ."[2]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾:

ينهى الله تعالى عن قتل النفس التي حرم قتلها إلا بالحق، فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدَى ثلاثٍ: رجل كَفَرَ بعدَ إسلامٍ، أو زنَى بعدَ إحصانٍ، أو قتَلَ نفساً بغيرِ نفس.)[3]

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ﴾

ينهى الله تعالى ولي المقتول عن الإسراف في القتل، فلا يجوز أن يقتل غير القاتل، ولا يزاد عليه،[4] "وَالسَّرَفُ: الزِّيَادَةُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَقُّ، وَلَيْسَ خَاصًّا بِالْمَالِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ اللُّغَةِ."[5]

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾:

"لَا تَقُلْ لِلنَّاسِ وَفِيهِمْ مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَرْمِيَهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَتَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَذَلِكَ هُوَ الْقَفْوُ،"[6] وفي ذلك نهي عن اتباع الإشاعات والأخبار التي لا أصل لها بتناقلها ونشرها بين الناس، من دون التثبت من مصدرها.

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج577/14)

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج88/15).

(3) سنن أبي داوود: أبو داوود، أول كتاب الديات/بابُ الأمامِ يأمرُ بالعفو في الدمِ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط و محَمَّد بللي، ج553/6: رقم الحديث 4502. وقال المحقق: إسناده صحيح.

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج585/14)

(5) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج94/15).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج596/14)

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾:

وفيها "نُهِيَ عَنْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهِيَ خَصْلَةُ الْكِبْرِيَاءِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَعَمَّدُونَهَا."[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾:

في هذا النهي تأكيد لما سبق في بداية المقطع في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وهذا التكرار في المعنى في النهي عن عبادة غير الله تعالى يدل على الاهتمام بالتوحيد.[2]

فهذه مجموعة من النواهي التي نهى الله تعالى عنها، بالنهي الصريح بصيغة (لا تفعل)، ونَهْيُ الله تعالى عنها تنفير من فعلها.

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج103/15).

(2) ينظر: المرجع السابق (ج106/15).

المبحث الثاني

أسلوب الإتيان بجانب الفعل بمادة التحريم

المطلب الأول: التحريم لغة واصطلاحا:

1- التحريم لغة:

"الْحرَام: مَا حرَّمه الله تعالى، والحُرْمَةُ مَا لايَحِلُّ لَك انتهاكُه... والمحارِمُ مَا لَا يحِلُّ استحْلالُه،"[1] "والحريمُ الَّذِي حَرُم مَسُّه فَلَا يُدنَى مِنْهُ،"[2] و"الحَرَامُ: ضِدُّ الحَلالِ،"[3] وإذا حرم الشيء فقد امتنع فعله، ويسمى الممنوع حراما تسمية بالمصدر.[4]

2- التحريم اصطلاحا:

التحريم: "طلب الترك مع المنع عن الفعل،"[5] أو "جعل الشَّيْء محرما، وَإِنَّمَا خصت التَّكْبِيرَة الأولى بالتحريمة لِأَنَّهَا تحرم الْأُمُور الْمُبَاحَة قبل الشُّرُوع فِي الصَّلَاة دون سَائِر التَّكْبِيرَات."[6]

وَالْحرَام: "مَا ثَبت الْمَنْع عَنهُ بِلَا أَمر معَارض لَهُ، وَحكمه الْعقَاب بِالْفِعْلِ وَالثَّوَاب بِالتّرْكِ لله تَعَالَى."[7]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

لفظ التحريم يعد من أوضح الأساليب وأصرحها في التنفير من الرذائل والفواحش التي نهى الله عنها، وأمر بتركها، فالله تعالى إذا ذكر أنه حرم شيئا فإنه يدل على طلب الامتناع عن الفعل، فلا يجوز في حال الاختيار والقدرة فعل المحرمات، وطلب الامتناع هنا يكون مجزوما ومقطوعا به بدلالة لفظ التحريم.

وما يلبث المؤمن أن يعلم أن الله تعالى حرم رذيلة من الرذائل حتى يَنفِر عنها.

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري (ج30/5).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري (ج32/5).

(3) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد (ج94/3).

(4) يُنظَرُ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج131/1).

(5) التعريفات، الجرجاني (ص33).

(6) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري (ج189/1).

(7) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي (ص404).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الإتيان بجانب الفعل بمادة التحريم:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[البقرة:173].

أ- المفردات اللغوية:

﴿حَرَّمَ﴾:"الْحَرَامُ: الْمَمْنُوعُ مَنْعًا شَدِيدًا، وَمَعْلُومٌ مِنَ الْمَقَامِ أَنَّ الْمَقْصُودَ مَا حَرَّمَ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ."[1]

﴿الْمَيْتَةَ﴾: كل ما له دم سائل، ومات دون أن يذكى،[2] ويقصد به أن يكون مما يذبح ويؤكل، لأن الذي لا يؤكل لحمه كالسباع وغيرها فذكاتها كموتها.[3]

﴿وَالدَّمَ﴾: وهو الدم المسفوح السائل، فالدم الذي يخالط اللحم فهو غير محرم بإجماع العلماء.[4]

﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: أي : ما ذبح لغير الله تعالى، كالأصنام، ويسمى عليها باسم الأصنام.[5]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى المحرمات على المؤمنين من المأكولات، وهي الميتة والدم ولحم الخنزير وما قصد بذبحه غير الله تعالى.

ويضاف لهذه المحرمات ما جاء في قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (ج115/2)، بتصرف يسير.

(2) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج239/1).

(3) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج24/3).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج240/1).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج55/3).

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾[المائدة:3]، وما جاءت به السنة النبوية الصحيحة[1] في تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، ولحوم الحمير الأهلية.[2]

أما تحريم الميتة فالمقصود منه تحريم أكل لحوم الميتة والانتفاع بها وهي ميتة،[3] والميتة هنا جاءت عامة إلا أن السنة[4] خصصتها بجواز أكل الحوت والجراد.[5]

ثم ذكر الله تعالى تحريم الدم المسفوح، فقد اتفق العلماء على أنه حرام ونجس، فلا يجوز أكله ولا يجوز الانتفاع به، وقد استدل العلماء من أن المراد منه هو الدم المسفوح، وليس على إطلاقه كما هو مذكور في هذه الآية من خلال حمل المطلق على المقيد، لأن الله تعالى قيده بالدم المسفوح في قوله تعالى: ﴿دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾[الأنعام:145]، فالدم الذي يخالط اللحم معفو عنه بالإجماع والكبد والطحال فغير محرم بإجماع العلماء أيضا،[6] وقد كان العرب في الجاهلية يأكلون الدم بعد ما يملؤونه في الأمعاء ثم يشوونها.[7]

ثم ذكر الله تعالى تحريم لحم الخنزير وخصه بالذكر دون سائر جسمه لأن اللحم هو غالب ما يؤكل فيه، وباقي الأجزاء هي بمثابة التابع له فهي محرمة أيضا،[8] والدليل على ذلك أن الإجماع منعقد على تحريم شحم الخنزير كذلك،[9] فالشحم داخل في حكم تحريم اللحم إما

---

(1) "عَنْ جَابِرٍ قَالَ: حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ، الحُمُرَ الإِنْسِيَّةَ، وَلُحُومَ البِغَالِ، وَكُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ." [سنن الترمذي: الترمذي، أَبْوَابُ الأَطْعِمَةِ/بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ كُلِّ ذِي نَابٍ وَذِي مِخْلَبٍ، تحقيق: بشار معروف، ج125/3: رقم الحديث 1478.] وقال الألباني: حديث صحيح. [صحيح سنن الترمذي، الألباني (ج148/2).]

(2) يُنظَرُ: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج443/1).

(3) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج191/1).

(4) "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله تعالى عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ: الْحُوتُ وَالْجَرَادُ).[سنن ابن ماجة: ابن ماجة، أَبْوَابُ الصَّيْدِ/بَابُ صَيْدِ الْحِيتَانِ وَالْجَرَادِ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، ج372/4: رقم الحديث 3218]، وقال الألباني: حديث صحيح. [صحيح سنن ابن ماجة، الألباني (ج107/3).]

(5) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج239/1)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج24/3).

(6) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج30/3).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج118/2).

(8) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج191/1).

(9) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج240/1).

تغليبا أو قياسا،[1] والحكمة من تحريمه أنه يقتات من القاذورات، وفيه طباع سيئة خبيثة فهو لا يغار على أنثاه.[2]

ثم حرم الله تعالى ما ذُبح لغيره سبحانه وتعالى، وسماه إهلالا لأنهم كانوا يذبحون لآلهتهم فيسمون أسماء آلهتهم ويجهرون بها، ثم قيلت لكل ذابح سواء جهر أم لم يجهر.[3]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:33].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**ٱلْفَوَٰحِشَ**﴾: هي في الأصل صفة للموصوف المحذوف، بمعنى الفعل الفاحش، ثم صارت لكثرة استعمالها اسما للفعل المذموم،[4] فهي الأفعال القبيحة والمفرطة في قبحها.[5]

﴿**وَٱلْإِثْمَ**﴾: الْمَعْصِيَةُ،[6] وهي عامة في جميع الذنوب من الأقوال والأفعال التي يلحق بفاعلها إثم،[7] و"هذا قول الجمهور،"[8] وهي أعم من الفواحش، والفواحش أخص، فهو تعميم بعد تخصيص.[9]

(1) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج481/1).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج118/2-119)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج443/1).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج55/3).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-ب/82).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج163/10)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج210/9).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج163/10).

(7) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج99/2)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج395/2).

(8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج395/2).

(9) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج224/3)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-ب/100).

﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾: الِاسْتِطَالَةُ عَلَى النَّاسِ بالظلم والكبر،[1] أو هو التعدي وتجاوز الحد سواء أكان الإنسان مبتديا بالاعتداء، أو كان مظلوما، ولكنه جاوز الحد في الانتصار لذاته أو لغيره.[2]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى المحرمات التي يحرمها في كتابه الكريم، وهي الفواحش جميعها ما كان ظاهرا وما كان خفيا، وجميع الآثام والذنوب والمعاصي، والبغي، والشرك بالله تعالى، وافتراء القول على الله تعالى في ما لا يعلمونه عن ربهم سبحانه وتعالى.

ويستفاد من ذكر ﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ قبل ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ الاهتمام بالتحذير منها قبل التحذير من جميع الذنوب، وهي الآثام، والاهتمام بالتحذير ظاهر من وجهين، الأول: هو التخصيص، بذكر الخاص قبل العام، وهو كذكر العام بعد الخاص، والثاني: من التقديم،[3] وقد شمل اللفظ ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ جميع الفواحش، لأن هذا التقسيم شامل لجميع الفواحش.[4]

ثم حرم الله تعالى البغي، ويمكن التفريق بينه وبين الإثم، أن الإثم متعلق بالفاعل نفسه من الذنوب والمعاصي، أما البغي، فهو متعلق بالناس، فشمل الله تعالى بذلك جميع الذنوب.[5]

ووصف الله تعالى البغي أنه ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ زيادة في الكشف والبيان والتوضيح، لأنه لا يمكن تقسيم البغي إلى بغي بحق وبغي بغير حق، لأنه لوكان بغيا بحق فإنه لا يسمى بغيا.[6]

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج163/10)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج99/2).

(2) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج395/2).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج8-ب/100).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج395/2).

(5) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج409/3).

(6) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج395/2).

ت- لطيفة في قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾:

هو أسلوب تهكمي على المشركين، لأن الله تعالى لم ينزل البرهان والسلطان حتى يشرك به سبحانه وتعالى، بل إن البرهان الذي أرسله الله تعالى للناس جميعا يقوم على إثبات الوحدانية لله تعالى.[1]

ثم حرم الله تعالى افتراء الكذب عليه سبحانه وتعالى، كالذي افتراه المشركون على الله تعالى من أن أمرهم بالتعري عند الطواف، وتحريم الأنعام، وغير ذلك مما لم يأمرهم الله تعالى به.[2]

فهذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى إنما ذكر تحريمها حتى يمتنع المسلمون عن فعلها وينفروا منها لأن الله تعالى حرمها.

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج100/2).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج164/10).

المبحث الثالث

أسلوب نسبة الفعل إلى الإثم

المطلب الأول: الإثم لغة واصطلاحا:

1- الإثم لغة:

"الإثم: الذنْبُ. وقد أَثِمَ الرجل إثماً ومَأثَماً، إذا وقع في الإثم، فهو آثِمٌ وأَثيمٌ، وأَثومٌ،"[1] "ويقال: تأثم، إذا تحرج من الإثم وكف عنه."[2]

2- الإثم اصطلاحا:

الذَّنب الَّذِي يسْتَحق فاعله العقُوبَة عَلَيْه، فهو خاص بما كان عمداً دون ما كان سهوا، وَلَا يُوصف بِهِ إِلَّا المحرم.[3]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

بين الله تعالى في القرآن الكريم أفعالا وأقوالا يأثم فاعلها إن فعلها، والإثم دليل على نهي الله تعالى عن فعلها، والمؤمن إذا علم بالإثم المترتب على الفعل فإنه ينفر من فعله، امتثالا لأمر الله تعالى، كما قال الله تعالى في وصف الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[البقرة:219]، "فَأَثْبَتَ لَهُمَا الْإِثْمَ، وَهُوَ صِفَةٌ تُسَاوِي الرِّجْسَ فِي نَظَرِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ الْإِثْمَ يَقْتَضِي التَّبَاعُدَ عَنِ التَّلَبُّسِ بِهِمَا مِثْلُ الرِّجْسِ،"[4] وكذلك فإن فعل الإثم يستوجب غضب الله تعالى وانتقامه والعياذ بالله تعالى.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نسبة الفعل إلى الإثم:

ا لمثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء:20].

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج1857/5).

(2) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص87).

(3) يُنظَرُ: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص40).

(4) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج24/7).

أ- **المفردات اللغوية:**

﴿**ٱسۡتِبۡدَالَ**﴾: "طَلَاقُ الْمَرْأَةِ السَّابِقَةِ وَتَزَوُّجُ امْرَأَةٍ أُخْرَى."[1]

﴿**قِنطَارًا**﴾: "الْمَالُ الْكَثِيرُ،"[2] أو "المال العظيم، من قنطرت الشيء إذا رفعته."[3]

﴿**بُهۡتَٰنًا**﴾: "الكذب الذي يبهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم،"[4] أي: "ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ."[5]

﴿**مُّبِينًا**﴾: بيناً.[6]

ب- **التفسير والبيان:**

يأمر الله تعالى الذين يرغبون نكاح امرأة وتطليق امرأة مكانها، وكانوا قد أعطوا التي يرغبون طلاقها من المهر مالا كثيرا، بأن لا يضروهن ليفتدين بمهرهن، فيدفعنه لأزواجهن، ثم يطلقونهن،[7] وقد قيل بأن الرجل في الجاهلية كان إذا رغب بالزواج من امرأة بهت زوجته التي عنده وقذفها بالفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بمهرها الذي أعطاها إياه، فتدفعه له فيتزوج به غيرها.[8]

وقوله تعالى: ﴿أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾: "استئنافٌ مَسوقٌ لتقرير النهْي والتنفيرِ عن المنهيِّ عنه،"[9] وقد أفاد الاستفهام الإنكار والتوبيخ على فعلهم هذا، فإنكم تأخذونه باهتين

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (288/4).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج539/6).

(3) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج503/1).

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج66/2)، يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج159/2).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج540/6).

(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج344/1).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج539/6-540).

(8) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج503/1)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج66/2).

(9) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج159/2).

وآثمين.[1] ففي هذه الآية ينفر الله تعالى عباده المؤمنين من ظلم الزوجات بترتيب الإثم على تلك الرذائل التي كان يفعلها أهل الجاهلية.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[الأحزاب:58].

أ- المفردات اللغوية:

﴿اكْتَسَبُوا﴾: عَمِلُوا،[2] أو "جناية واستحقاق للأذى."[3]

﴿احْتَمَلُوا﴾: تحملوا.[4]

﴿بُهْتَانًا﴾: "البهتان: "أَفْحَشَ الْكَذِبِ."

﴿مُبِينًا﴾: "يَبِينُ لِسَامِعِهِ أَنَّهُ إِثْمٌ وَزُورٌ،"[5] أو بمعنى عظيما وقويا.[6]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى أن إيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير ما عملوا من الأعمال التي يستحقون بها الأذى، فقد تحملوا كذبا ظاهرا بينا على عباد الله تعالى المؤمنين.

وأذية المؤمنين تكون بالأفعال والأقوال القبيحة والتعيير بالحسب أو الحرفة أو أي شيء يسيء فهو أذى،[7] وقيل إن الأذى هو أذى القول، لأن البهتان من أنواع القول.[8]

وقد أفاد عطف المؤمنات على المؤمنين ردع المؤذين عن أذى المؤمنات، لأنهن ضعيفات، أما الرجال فقد يردعهم عنهم خوفهم منهم وتقية من ثأرهم وغضبهم، ويكون التصريح بمساواة الحكم من باب أولى.

---

(1) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج2/66).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج19/179).

(3) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج3/556).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج3/45).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج19/180).

(6) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج22/105).

(7) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج17/226).

(8) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج22/105).

ولا يجوز للناس سب المؤمنين بعمل سيء فعلوه، لأن الجزاء على فعله ليس موكلا إلى عامة الناس ولكن إلى ولاة الأمر.[1]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى عباده المؤمنين من أذية المؤمنين والمؤمنات بترتيب الإثم على تلك الرذيلة.

(1) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج105/22).

المبحث الرابع

أسلوب النهي عن الفعل بمادة (نهى)

المطلب الأول: النهي لغة واصطلاحا:[1]

1- النهي لغة:

" النهي: خلاف الأمر،"[2] وهو "الزّجر عَن الشَّيْء بِالْفِعْلِ أَو بالْقَوْل".[3]

2- النهي اصطلاحا:

"استدعاء التّرْك بالْقَوْل مِمَّن هُوَ دونه على سَبِيل الْوُجُوب، وَيدل على فَسَاد الْمنْهِي عَنهُ،"[4] فهو: "كالأمر في الاستعلاء."[5]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نفر الله تعالى في كتابه العزيز من الرذائل بالنهي عنها صراحة بمادة (ينهى)، والنهي إذا كان من عند الله تعالى العليم الخبير فإنه طلب بالكف عن الفعل، والمؤمن الذي يمتثل أمر ربه جل وعلا لا يكتفي بالانتهاء عن نهي الله سبحانه وتعالى، بل وينفر منه، لأن الله تعالى لم ينه عن أمر إلا لشر فيه، أو لحكمة يعلمها الله تعالى، فإن "مُقْتَضى النَّهْي قبح الْمنْهِي عَنهُ كَمَا أَن مُقْتَضى الْأَمر حسن الْمَأْمُور بِهِ، لِأَن الْحَكِيم لَا يَنْهي عَن شَيْء إِلَّا لقبحه، كَمَا أَنه لَا يَأْمر بِشَيْء إِلَّا لحسنه."[6]

وأجمع العلماء على أن النهي يقتضي الفور في الكف عن الفعل، وذلك بخلاف الأمر فإنه فيه خلافا بأنه على الفور أم على التراخي.[7]

---

(1) ينظر: ص 81 من الرسالة.

(2) مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص844).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص904)

(4) الورقات، الجويني، تحقيق: عبد اللطيف العبد (ص 15).

(5) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، تحقيق: علي دحروج (ج1730/2).

(6) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص904)

(7) يُنظَرُ: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، عباس (ص 154).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على النهي عن الفعل بمادة (نهى):

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**بِٱلۡعَدۡلِ**﴾: الْإِنْصَافُ،[1] أو هو "الْأَمْر الْمُتَوَسِّط بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ"،[2] أو هو تسوية الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه.[3]

﴿**وَٱلۡإِحۡسَٰنِ**﴾: المعاملة بالحسنى ممن لا تجب عليه لمن هو أهل له، وأعلا مراتب الإحسان ما كان في حق الله تعالى، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)،[4] ثم يدخل فيه التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، ويدخل كذلك فيه جميع الأقوال والأفعال،[5] ومنه أيضا: "الإحسان إلى من أساء إليكم."[6]

﴿**وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ**﴾: ذُو الْقُرْبَى: صَاحِبُ الْقَرَابَةِ مِنَ الْمُؤْتِي، وقيل: بأن المراد من الإيتاء: إِعْطَاءُ الْمَالِ،[7] والأولى أنه: "لفظ يقتضي صلة الرحم ويعم جميع إسداء الخير إلى القرابة."[8]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج334/14).

(2) مفاتيح الغيب، الرازي (ج259/20)، يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج238/3)، فتح القدير، الشوكاني (ج225/3).

(3) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج229/2)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (254/14).

(4) صحيح البخاري: البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ/بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، تحقيق: محمد الناصر ج19/1: رقم الحديث 50.

(5) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني(ج225/3)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (255/14).

(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج229/2).

(7) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (257/14).

(8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج416/3).

﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الذنوب والمعاصي المفرطة في القبح،[1] فهي "اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ تَسْتَفْظِعُهُ النُّفُوسُ لِفَسَادِهِ مِنَ الْآثَامِ الَّتِي تُفْسِدُ نَفْسَ الْمَرْءِ،"[2] "وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله تعالى والقتل بغير حق والزنا والسرقة...وغير ذلك من الفواحش."[3] ويلاحظ في التعريف الأول أنه خاص بما يتعلق بالشرع، والتعريف الثاني فهو من جهة النفس البشرية، أما التعريف الثالث فهو من جهة الشرع والنفس البشرية.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: يعم جميع الذنوب والرذائل، وهو أعم من الفحشاء،[4] فهو: "ما أنكره الشرع بالنهي عنه،"[5] وكذلك فإن النفوس المعتدلة تكرهه، ويشمل الأقوال والأفعال.[6]

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: هو الكبر والظلم، والأصل فيه التعدي ومجاوزة الحد من كل شيء،[7] فيشمل كل معاني التعدي، سواء الاعتداء على الغير بدون ذنب، أو بالإفراط في مقابلة الذنب.[8]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة أمور، وينهى عن ثلاثة، فيأمر ﴿بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وينهى عن ثلاثة وهي: ﴿ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾، حيث إن في امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه فلاح الدنيا والآخرة، وما أمر الله تعالى بما أمر به إلا لأهميته في الحفاظ على المجتمع المسلم من إقامة العدل، والإحسان الزائد على العدل، والوصية بذوي القربى لأهميتها عند الله تعالى، وكذلك فإن النواهي التي نهى الله تعالى عنها فهي لخطرها على المجتمع الإسلامي أفراداً وجماعات.

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج416/3)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج230/2)، فتح القدير، الشوكاني (ج225/3).

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (257/14).

(3) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص447).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج416/3).

(5)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج414/12)، فتح القدير، الشوكاني(ج225/3).

(6) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (257/14).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج336/14)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج414/12).

(8) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (258/14).

وقد خص الله تعالى ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ بالذكر رغم أنها داخلة في العدل والإحسان المأمور بهما من قبل، فدل التخصيص بالذكر على الحض عليه وبيان أهميته عند الله تعالى،[1] وذلك بسبب تهاون الناس وغفلتهم عنه و والتساهل فيه.[2]

وكذلك فقد خص الله تعالى البغي بالذكر رغم أنه مندرج ضمن النهي عن المنكر، وذلك لشدة العناية بالنهي عنه بسبب ضرره على الناس.[3] وبسبب كثرة وقوعه في الجاهلية.[4]

ولقد جمعت هذه الآية الموجزة في ألفاظها جملة من الأوامر والنواهي "فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات."[5]

وفي هذه الآية ينفر الله تعالى من فعل الفواحش والمنكرات والبغي بالنهي عنها نهيا قد نسبه إلى نفسه سبحانه وتعالى، والله جل وعلا لا ينهى عن شيء إلا لضرره، لأن الله تعالى خالقنا سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده إلا الخير، فلما نهى الله تعالى عن هذه المنهيات الثلاث وجب على المسلمين أن ينفروا منها.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[العنكبوت:45].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: "الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَةُ."[6]

﴿تَنۡهَىٰ﴾: بمعنى: تمنع المصلي عن فعل المعاصي، وتبعده عنها.[7]

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج416/3)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج414/12)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج136/5).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (256/14).

(3) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج416/3)، فتح القدير، الشوكاني (ج225/3).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (258/14).

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص447).

(6) فتح القدير، الشوكاني (ج236/4).

(7) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج236/4).

﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الذنوب والمعاصي المفرطة في القبح.[1]

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: "مَا يُنكره الشَّرْع وَلَا يَرْضَى بِوُقُوعِهِ."[2]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصلاة لا تنهى بذاتها حقيقة، ولكن الناهي هو الله تعالى، فهو الذي أمر بالصلاة. "وَمَعْنَى نَهْيِهَا عَنْ ذَلِكَ أَنَّ فِعْلَهَا يَكُونُ سَبَبًا لِلِانْتِهَاءِ."[3]

فالمصلي إذا أدى صلاته بتمامها وخشوعها تذكر الوقوف بين يدي الله تعالى، وأنه مراقب من عند ربه سبحانه وتعالى، لأنه سوف يحاسبه ويجازيه على صلاته، فإن ذلك من شأنه أن يصلح نفسه، فيسير بذلك في جميع أقواله وأفعاله، فينتهي عن الفحشاء والمنكر،[4] وفي "الصَّلَاةِ أَعْمَالٌ قَلْبِيَّةٌ مِنْ نِيَّةٍ وَاسْتِعْدَادٍ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تعالى، وَذَلِكَ يُذَكِّرُ بِأَنَّ الْمَعْبُودَ جَدِيرٌ بِأَنْ تُمْتَثَلَ أَوَامِرُهُ وَتُجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ،"[5] ويتحقق النهي عن الفواحش والمنكرات عندما يكون المصلي منشغلا بها، فلما انشغل بالصلاة بحدودها التي حددها الله تعالى، انشغل عن الفواحش والمنكرات.[6]

ومن حكمة الله تعالى في جعل الصلوات الخمس موزعة على أوقات النهار والليل حتى يتجدد التذكير بالنهي عن الفواحش والمنكرات.

والنهي عن الفحشاء والمنكر ليس للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المراد به أمته، لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من فعل الفواحش والمنكرات.[7]

---

(1) يُنظَرُ: ص 99 من الرسالة.

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (260/20).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج236/4)، يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود(ج42/7).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج319/4).

(5) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (259/20).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج410/18).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (259،260/20).

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى عباده المصلين من فعل الفواحش والمنكرات، فالله تعالى جعل الصلاة سببا متجددا في النهي عن الفحشاء والمنكر، فإذا هم المصلي بفعل الرذائل تذكر نهي الله تعالى للمصلين عن ذلك فينفر منه.

الفصل الخامس

التنفير بأسلوب بيان العلة وجعل الفعل سببا للحد والعقوبة الآجلة و المقت

المبحث الأول

أسلوب بيان العلة من النهي

المطلب الأول: العلة لغة واصطلاحا:

1- العلة لغة:

المرض،[1] والتعليل: "تَبْيِين عِلّة الشَّيْء وَمَا يسْتَدلُّ بِهِ من الْعلَّة على الْمَعْلُول."[2]

2- العلة اصطلاحا:

العلة هي السبب والباعث الذي كان من أجله الحكم الشرعي، ولا يكون هذا السبب إلا لجلب مصلحة أو درء مفسدة، فالله تبارك وتعالى لا ينهى عن شيء إلا وفي تركه صلاح العباد في الدنيا والآخرة.

قال الآمدي: "وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ الْعِلَّةُ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى الْبَاعِثِ، أَيْ مُشْتَمِلَةً عَلَى حِكْمَةٍ صَالِحَةٍ أَنْ تَكُونَ مَقْصُودَةً لِلشَّارِعِ مِنْ شَرْعِ الْحُكْمِ."[3]

وقد عرف العلماء العلة بتعريفات متعددة بهذا المعنى منها: أنها "المعنى الجالب للحكم،"[4] أو الْبَاعِثُ عَلَى التَّشْرِيعِ، أو الَّتِي يَعْلَمُ اللَّهُ صَلَاحَ الْمُتَعَبِّدِينَ بِالْحُكْمِ لِأَجْلِهَ.

وَلِلْعِلَّةِ أَسْمَاءٌ متعددة منها: السَّبَبُ، وَالدَّاعِي، وَالْبَاعِثُ، وَالْحَامِلُ، وَالْمُقْتَضِي، وَالْمُوجِبُ، وَالْمُؤَثِّرُ.[5]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

إن تعليل الأحكام والنواهي يعد من الأساليب العقلية القائمة على الفكر والاستدلال في التنفير من الرذائل، يقول الطاهر ابن عاشور: "وَلَمْ يَزَلِ الْقُرْآنُ يُرَبِّي هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى إِعْمَالِ

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج1773/5).

(2) المعجم الوسيط ، مصطفى وآخرون (ج623/2).

(3) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي (ج202/3).

(4) العُدَّة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، تحقيق: د أحمد المباركي (ج175/1).

(5) يُنظَرُ: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، تحقيق: أحمد عناية(ج110/2).

الْفِكْرِ، وَالِاسْتِدْلَالِ، وَتَعَرُّفِ الْمُسَبَّبَاتِ مِنْ أَسْبَابِهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِهَا: فِي التَّشْرِيعِ، وَالْمُعَامَلَةِ لِيُنْشِئَهَا أُمَّةَ عِلْمٍ وَفِطْنَةٍ."(1)

فَذِكرُ أسباب النهي يبين ما في المنهيات من أضرار ومفاسد دينية ودنيوية، وإن صاحب العقل السليم ما يلبث أن يعلم بتلك المفاسد حتى ينفر من هذه الرذائل ويبتعد عنها.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على بيان العلة من النهي:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة:91].

أ- المفردات اللغوية:

﴿يُرِيدُ﴾: يحب،(2) فالإرادة "قُوَّة مركبة من شَهْوَة وحاجة وخاطر وأمل."(3) ويرى الباحث أن تعريف الكفوي أشمل في تعريف الإرادة، وهو يدل على مدى إرادة الشيطان في إيقاع الضرر بالمسلمين على ما يأتي بيانه.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: اختلف العلماء في بيان معنى العداوة والبغضاء وبيان الفرق بينهما على أقوال:

أولا: عد الطاهر ابن عاشور أن الذي بين معنيي العداوة والبغضاء تضاد وتباين، فالعداوة: كَرَاهِيَةٌ تَصْدُرُ عَنْ صَاحِبِهَا مُعَامَلَةٌ بِجَفَاءٍ، أَوْ قَطِيعَةٌ، أَوْ إِضْرَارٌ، لِأَنَّ الْعَدَاوَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعَدْوِ وَهُوَ التَّجَاوُزُ وَالتَّبَاعُدُ، والبغضاء: شِدَّةُ الكراهية، غير المصحوبة بالعدو، فهي مضمرة في النفس، وَلَيْسَ فِي أصل مادتها إِلَّا مَعْنَى الْكَرَاهِيَةِ.(4)

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج65/4).

(2) المرجع السابق (ج26/7).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص74)

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج148/6).

ثانيا: جعل الكفوي بين العداوة والبغضاء خصوصا وعموما، فجعل العداوة أخص من الْبغضَاء على اعتبار أن كل عَدو مُبغض، وليس كل مبغض عدو فقد يبغض من لَيْسَ بعدو.[1]

ثالثا: ذكر الطاهر ابن عاشور وجها ثالثا للفرق بينهما وهو أن العداوة أعم من البغضاء، وقد نسبه لابن عرفة في تفسيره.[2]

والذي يراه الباحث أن بين العداوة والبغضاء خصوص وعموم، فالعداوة أخص من الْبغضَاء، حيث إن ظاهر كلام الطاهر ابن عاشور أن العداوة كراهية مع إضرار، أما البغضاء فهي كراهية فقط، وبهذا يمكن القول بأن الخلاف بينهما خلاف لفظي.

﴿ٱلْخَمْرِ﴾: "كُلُّ شَرَابٍ خَامَرَ الْعَقْلَ فَسَتَرَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: خَمَّرْتَ الْإِنَاءَ إِذَا غَطَّيْتُهُ."[3]

﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾: قِمَارُ الْعَرَبِ بِالْأَزْلَامِ.[4]

﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: يحتمل أن الله جل وعلا أراد بذلك الذكر اللساني، ويحتمل أنه أراد به الذكر القلبي. وقد بين الطاهر ابن عاشور أن المراد بالذكر اللساني هو القرآن الكريم وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن المراد بالذكر القلبي هو تَذَكُّرُ مَا أَمَرَ اللَّهُ تعالى بِهِ وَنَهَى عَنْهُ.

وقد نفى الطاهر ابن عاشور أن يكون المقصود بالذكر في هذه الآية ذكر الله باللسان لأنه ليس بواجب إلا ما كان في أركان الصلاة، وذلك لا حاجة لذكره لأن الله تعالى ذكره في قوله: ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.[5]

والذي يراه الباحث أن ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يشمل الذكر اللساني بأنواعه والذكر القلبي، فالذكر اللساني يشمل قراءة القرآن وتعلمه وذكر أحكامه وأوامره ونواهيه، وذكر حديث رسول الله صلى

---

(1) يُنظَرُ: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص644).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج148/6).

(3) ينظر ص20 من الرسالة .

(4) ينظر ص20 من الرسالة .

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج27/7).

الله عليه وسلم، ولما كان شرب الخمر يضيع على المسلمين ذلك، فإنه يوقعهم في شر عظيم وجهل لا تحمد عقباه، فقد نهى الله عز وجل عنه، وكذلك ذكر الله عز وجل باللسان –وإن لم يكن واجبا–فهو طريق المسلمين إلى الارتقاء في الدرجات العالية عند الله عز وجل، ولما كان شرب الخمر وغياب عقل شاربه يضيع على المسلمين ذلك فقد نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عنه.

والذكر القلبي هو التفكر في آيات الله التي جعلها الله دليلا على قدرته وعظمته ونعمه التي أنعم بها على الناس، ويشمل تذكر الله في أوامره ونواهيه وتعظيمه سبحانه في فعل الأوامر واجتناب النواهي.

سبب النزول:[1]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه قال نزلت فيه آيات من القرآن الكريم، وقال منها: (وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ – وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ – فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ – يَعْنِي نَفْسَهُ – شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة:91]).[2]

ب– التفسير والبيان:

لما نهى الله تعالى عن الخمر والميسر وحرمهما وأمر باجتنابهما في الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة:90]، ناسب في هذه الآية أن يبين العلة من النهي عنهما وتحريمهما والأمر باجتنابهما وهي إلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

---

(1) ينظر: ص18 من الرسالة.

(2) صحيح مسلم: مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ/بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج4/1877: رقم الحديث 43–1748.

"لم يُذكر في القرآن الكريم تعليلُ الأحكام إلاّ بالإيجاز، أمّا هنا فقد ذكر بالإطناب والتفصيل،"[1] فقد بين الله جل وعلا في هذه الآية الأسباب والعلل التي من أجلها حرم الخمر والميسر ونهى عباده المؤمنين عنهما، بأن ذكر ما ينتج عن تعاطيهما من العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.[2]

وقد فصل الله تعالى في ذكر هذه الأسباب تفصيلا وافيا، فشمل المفاسد الدنيوية وهي وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين كما هو ثابت في سبب نزول الآية. وما يؤدي ذلك إلى تشتيت المسلمين وإضعافهم وشق صفهم، وشمل التفصيل ذكر المفاسد الدينية من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، واللتان بهما سعادة المسلم في ارضاء ربه سبحانه وتعالى،[3] "فالخمر ينسي، والميسر يلهي، وغيبوبة الميسر لا تقل عن غيبوبة الخمر عند المقامرين."[4]

ولقد خص الله ذكره سبحانه وتعالى والصلاة من دون سائر العبادات والطاعات في قوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ تنبيها على أهميتها وعظمهما عند الله تعالى.

وقد ذكر الله تعالى أربعة أسباب في النهي عن تعاطي الخمر والميسر كل واحدة منها تكفي أن تنفر منهما وأن تكون سببا للانتهاء عن تعاطيهما، فلما كانت هذه العلل مجتمعة كان ذلك أبلغ في التنفير عن تعاطيهما وأغلظ في التحريم.

وَيلحق بالخمر والميسر كل ما شَاركهما فِي إلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ والصد عَنْ ذِكر اللَّه وعنِ الصَّلَاةِ.[5]

ثم ختم الله تعالى الآية باستفهام فقال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، وهو استفهام يراد منه الأمر أي "انتهوا" عن شرب الخمر وتعاطي الميسر، وهو أبلغ أساليب النهي،[6] فما بينه الله

(1) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني (ج562/1)، ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج41/4).

(2) يُنظَرُ: تفسير ابن رجب الحنبلي، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق محمد (ج445/1).

(3) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج76/3)، فتح القدير، الشوكاني(ج84/2).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج976/2).

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج27/7).

(6) يُنظَرُ: صفوة التفاسير، الصابوني (ج357/1).

تعالى من مفاسد الخمر والميسر أظهر من أن ينهى عنهما فلم يبق حاجة لإعادة النهي عنهما.[1]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران:118-120]

أ- المفردات اللغوية:

﴿**بِطَانَةً**﴾: البطانة في الأصل القماش الذي يبطن به الثوب من الداخل، وجمعها بطائن، وظاهر الثوب يسمى الظهارة، والبطانة أيضا الثوب الذي يجعل تحت ثوب آخر، وأصله البطن الذي هو خلاف الظهر، وبطانة الرجل: خاصته الذين يستبطنون أمره ويطلعون على أسراره وشؤونه ثقة منه بهم.[2]

ولقد شبه خواص الرجل بالبطانة لشدة قربهم منه واطلاعهم على أحواله وشؤونه كقرب وملازمة بطانة الثوب لجسمه.[3]

﴿**مِّن دُونِكُمْ**﴾: من دون أهل دينكم وملتكم وأبناء جنسكم، ويشمل ذلك جميع غير المؤمنين.

﴿**يَأْلُونَكُمْ**﴾: من ألا، يألو، وهو التقصير والمعنى: لا يقصرون ولا يتركون الجهد في ما فيه الفساد عليكم.[4]

---

(1) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج28/7).

(2) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج272/5)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج76/2)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج63/4).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج708/5)، صفوة التفاسير، الصابوني (ج220/1).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج708/5)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج418/1).

﴿خَبَالًا﴾: الخبال: فساد الأمر واختلاله.[1]

﴿عَنِتُّمْ﴾: العنت: شدة المشقة والضرر والمكروه الذي يلقاه المرء،[2] وقد يكون معناه الخطأ والغلط والضلال.[3]

﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾: "الْمَحَبَّةُ هُنَا بِمَعْنَى الْمُصَافَاةِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى تُرِيدُونَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ وَهُمْ يُرِيدُونَ لَكُمُ الْكُفْرَ،"[4] وحب المسلمين لهم بسبب ما يظهرون لهم من الإيمان.[5]

﴿بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: الكتاب: اسم جنس، وذكر القرطبي قول ابن عباس أنها الْكُتُب. واليهود يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعضها، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾[البقرة:91][6]

﴿عَضُّوا﴾: "الْعَضُّ: شَدُّ الشَّيْءِ بِالْأَسْنَانِ، وَعَضُّ الْأَنَامِلِ: كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالتَّحَسُّرِ"[7] "مَعَ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى إِنْفَاذِه."[8]

﴿الْأَنَامِلَ﴾: "جَمْعُ أُنْمُلَةٍ، وَيُقَالُ أَنْمُلَةٌ، وَرُبَّمَا جُمِعَتْ أَنْمُلًا...وَهِيَ أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ."[9]

﴿الْغَيْظِ﴾: "غَضَبٌ شَدِيدٌ يُلَازِمُهُ إِرَادَةُ الِانْتِقَامِ."[10]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج708/5)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج418/1).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج418/1)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج496/1).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج711/5)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج496/1).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج278/5).

(5) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (108/2).

(6) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج278/5).

(7) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج66/4).

(8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (497/1).

(9) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج720/5).

(10) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج67/4).

﴿حَسَنَةٌ﴾: هي لفظ عام في كل ما فيه الخير للإسلام والمسلمين من نصر وتمكين لهم في لأرض، ودخول الناس في دين الله تعالى.

﴿سَيِّئَةٌ﴾: لفظ عام في كل ما فيه ضرر على الإسلام والمسلمين، بإصابة عدوهم منهم، أو فُرْقَة، أو غير ذلك، وهي ضد الحسنة.

﴿كَيْدُهُمْ﴾: مكرهم واحتيالهم على المسلمين بالباطل لِيصدوهُم عَنِ الهُدى وسبيلِ الحقِّ.(1)

ب- سبب النزول:

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما، قَالَ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَاصِلُونَ رِجَالًا مِنَ الْيَهُودِ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْجِوَارِ وَالْحَلِفِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ، فَنَهَاهُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ تَخَوُّفَ الْفِتْنَةِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾."(2)

ت- التفسير والبيان:

في هذه الآيات ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ أولياء من غير المؤمنين، واختلفت آراء العلماء في بيان المقصودين من النهي في الآية إلى أربعة أقوال:

القول الأول: أنهم هم المنافقون من أهل الكتاب الذين كانوا بين أظهر المسلمين ممن كان لهم عهد ووعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل، لقوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾، وليس المقصود منهم الكفار ولا منافقي العرب، وذلك لأن الكفار الذين ناصبوا المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون ليتخذوهم بطانة لأنفسهم من دون المؤمنين، بسبب اختلاف البلاد وبعدهم عنهم، ولأن المنافقين غير معروفين بصفة معينة ولا بأدلة ظاهرة ولا

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج722/5-723)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج498/1-499).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (709/5)، وهو حديث ضعيف، يُنظَرُ: [الاستيعاب في بيان الأسباب (أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، سليم الهلالي ومحمد آل نصر (ج287/1).]

بأسماء محددة، ولا يجوز أن يكونوا قد نُهُوا عن اتخاذهم أولياء إلا بعد تعريفهم إياهم، خاصة وأن المنافقين يظهرون الإيمان للمؤمنين،[1] وأكثر المفسرين على أن المراد بهم اليهود.[2]

القول الثاني:أنهم هم المنافقون،[3] والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، أي أن هذه الصفة خاصة بالمنافقين لا من صفات اليهود.[4]

القول الثالث: أنهم هم المنافقون من العرب واليهود، وأكثرهم من اليهود.[5]

القول الرابع: جميع أصناف الكفار، لأن الله تعالى قد نهى المؤمنين عن اتخاذ البطانة من كل من هو من دون المؤمنين، فيشمل ذلك جميع غير المؤمنين مهما كان اعتقاده أو صفته.[6]

والذي يترجح أن النهي وإن كان خاصا في موقف معين إلا أنه يشمل جميع غير المؤمنين أيا كان اعتقادهم أو كانت صفتهم.

ثم يبين الله تعالى العلة من النهي عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة[7]، وهي:

أولا: أنهم لا يقصرون ولا يتركون جهدا في إيقاع الضرر والأذى بكم، "فهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر، فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة."[8]

ثانيا: أنهم يحبون ويتمنون إيقاع أشد الضرر وأبلغه على المؤمنين.

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج714/5).

(2) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج278/5).

(3) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة(ج106/2).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج278/5).

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج62/4–63).

(6) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج289/1).

(7) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج488/5–493).

(8) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج273/5).

ثالثا: أنهم يظهرون لكم العداوة والبغضاء من أفواههم، أي أنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وحرصهم على إخفاء حقيقة بغضهم للمسلمين أن ينفلت من ألسنتهم ما يُعلم به بغضهم للمسلمين،[1] أو أنهم قد بدت البغضاء منهم لأهل الإيمان بقولهم ذلك لأهل الكفر والنفاق.[2]

رابعا: أنهم يكنون العداوة والبغضاء والحقد في صدورهم على الإسلام والمسلمين، وهو أشد وأعظم مما ظهر منهم لكم.

وقد ذكر الله تعالى هذه العلل، وكل علة منها مستقلة عن غيرها، لأن كل واحدة منها تصلح أن تكون سببا للنهي عن مباطنة غير المؤمنين.[3]

ويصح أن تكون العلل مستأنفة على طريق الترتيب بأن تكون كل واحدة علة للتي قبلها إلى أن تكون الأولى علة للنهي: فعلة النهي لأنهم لا يقصرون في ما فيه فسادكم لأنهم يودون شدة ضرركم لأنهم يكنون لكم العداوة والبغضاء فما ظهر منها أقل مما يخفونه لكم.[4]

ويصح أن يكون الكل تعليل وجواب للسؤال عن النهي من اتخاذ بطانة من غير المؤمنين.

خامسا: أنكم تحبون هؤلاء الذين توالونهم من اليهود أو الكفار أو المنافقين وهم لا يحبونكم بل يعادونكم، وقد ذكر العلماء في معنى المحبة أقوالا منها:

"أنكم تريدون لهم الإسلام، وهم يريدون لكم الكفر."[5]

أو أنكم تحبونهم بسبب إظهارهم الإسلام وهم لا يحبونكم بسبب كفرهم.[6]

أو تحبونهم بسبب ما بينكم وبينهم من القرابة، والمصاهرة، وهم لا يحبونكم لأجل دينكم.

أو أنكم لا تريدون الضر لهم، وهم يريدون لكم الشر والضرر.

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج418/1)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج108/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج76/2).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج713/5).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج419/1)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الشربيني (ج242/1).

(4) يُنظَرُ: حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، السيوطي (ج51/3).

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج278/5).

(6) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (108/2).

أو أنكم تخالطونهم، وتُفشون إليهم أسرارَكم في أمور دينكم وهم لا يفعلون ذلك بكم.[1]

سادسا: أنكم تؤمنون بالكتب السماوية كلها، وبالرسل جميعا وهم يكفرون بنبيكم وبكتابكم، وهذا على قول أن المقصودين من النهي هم اليهود.

سابعا: أنهم ينافقونكم فيظهرون لكم الإيمان الكامل، على قول أن المقصودين من النهي هم المنافقون، أو أنهم يظهرون تصديقا للرسول صلى الله عليه وسلم ويعطون ولاءهم ومودتهم له في الظاهر، على قول أن المقصودين من النهي هم اليهود.

وقد بين الله تعالى حالهم في خلوتهم بأنهم يعضون أطراف أصابعهم بأسنانهم على ما بهم من شدة الغيظ على أنهم يودون لو أنهم يلحقون الأذى بالمسلمين، وقد يكون عض الأنامل حقيقة وقد يكون مجازا عن شدة الغيظ.

ثامنا: أنهم يفرحون بالسيئة تصيب المؤمنين وتسوؤهم الحسنة تمس المسلمين، وقد جاء في الفرق بين المس والإصابة أقوال:

القول الأول: أن المس بمعنى الإصابة، فلا يختص أحدهما بالخير والآخر بالشر، والتنويع في الألفاظ إنما هو للتفنن.[2]

القول الثاني: أن المس أدنى مراتب الإصابة، فمساءتهم في إصابة المسلمين بأدنى مراتب الخير، وفرحهم في تمام إصابة الشر بالمسلمين وتمكنه منهم.[3]

ثم يبين الله تعالى للمؤمنين بأنهم إن صبروا على طاعة الله باتباع أمره فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، واتقوا ربهم كما أمر، فإنهم لا يضرهم كيد هؤلاء الذين وصف الله كيدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين شيئا، فالله تعالى عالم بهم ومحيط بأعمالهم.

إن هذا النهي وهذه العلل المتعلقة به تنطبق على أعداء الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان، فلا يجوز للمسلمين خاصة في هذا العصر -الذي وصلوا فيه إلى ما وصلوا من الضعف والذل والهوان بعد تدمير بلادهم وأوطانهم وتهجيرهم منها بعد ثورات الربيع العربي ضد

---

(1) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج5/495-496).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج1/420).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج1/498).

الظلم والفساد والطغيان– أن يتخذوا من الكفار مستشارين وخبراء يضعونهم موضع الثقة ويطلعونهم على أسرار المسلمين بدعوى حرصهم على نصرة المسلمين على أعدائهم.

ث–لطيفة في قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

أراد الله تعالى بذلك أن يحفز المؤمنين ويحرك عزائمهم، لأن الله تعالى يعلم أنهم يعقلون،[1] وقد عقب الله تعالى بذلك بعد ما بين لهم العلة من النهي للدلالة على وجوب التفكر في هذه العلل لتنفيرهم من موالاة غير المؤمنين.

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج496/1).

المبحث الثاني

أسلوب جعل الفعل سببا للحَدِّ

المطلب الأول: الحد لغة واصطلاحا:

1- الحَدُّ لغة:

المنع،[1] وهو: "الْفَصْلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ لِئَلَّا يَخْتَلِطَ أَحدهما بِالْآخَرِ أَو لِئَلَّا يَتَعَدَّى أَحدهما عَلَى الْآخَرِ، وَجَمْعُهُ حُدود...وحَدُّ كُلِّ شيءٍ: مُنْتَهَاهُ، لأَنه يَرُدُّهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ التَّمَادِي."[2]

2- الحد اصطلاحا:

يقصد بها الحدود الشرعية التي أوجبها الله تعالى على الجناة، وهي: "عقوبة مقدرة وجبت حقًا لله تعالى،"[3] و"سُمِّيَتْ حُدُودًا لأَنها تَحُدّ أَي تَمْنَعُ مِنْ إِتيان مَا جُعِلَتْ عُقُوبَاتٍ فِيه."[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

فرض الله تعالى عقوبات محددة لا تقبل التعديل أو التبديل أو التعطيل، لجرائم معينة، وهي: الزِّنَا، وَالْقَذْفُ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ، وَالسَّرِقَةُ، وَقَطْعُ الطَّرِيقِ: (الْحِرَابَةُ)، بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَكَذَلِكَ الرِّدَّةُ، وَالْبَغْيُ مَعَ اخْتِلاَفٍ فِيهِمَا.[5]

وفرض هذه الحدود على هذه الرذائل يدل على تحريمها وعلى تنفير الناس من ارتكابها، فمن الناس من لا ينتهي بمجرد نهي الله تعالى عن الرذائل، حتى إذا تبينت له العقوبة المترتبة عليه في الدنيا نَفَرَ عنها، فكانت تلك الحدود منفرة له وزاجرة عن ارتكاب الرذائل.

---

(1) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد السود (ص83).

(2) لسان العرب، ابن منظور (ج140/3).

(3) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد السود (ص83).

(4) لسان العرب، ابن منظور (ج140/3).

(5) يُنظَرُ: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت (ج271/30).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للحَدِّ:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[المائدة:38].

أ- المفردات اللغوية:

﴿وَٱلسَّارِقُ﴾: "هو من أخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه."[1]

﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾: "الْقَطْعُ مَعْنَاهُ الْإِبَانَةُ وَالْإِزَالَةُ."[2]

﴿جَزَآءَۢ﴾: "الْمُكَافَأَةُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الْعَمَلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ."

﴿نَكَٰلٗا﴾: "النَّكَالُ: الْعِقَابُ الشَّدِيدُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَصُدَّ الْمُعَاقَبَ عَنِ الْعَوْدِ إِلَى مِثْلِ عَمَلِهِ الَّذِي عُوقِبَ عَلَيْهِ."[3]

﴿عَزِيزٌ﴾: "غالب لا يعارض في حكمه."

﴿حَكِيمٞ﴾: "فيما حكم من قطع يد السارق والسارقة."[4]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى المؤمنين بقطع يد السارق عقوبة له على هذا الفعل الشنيع، حتى يرتدع غيره عن هذا الفعل فيكون عبرة لمن تُسَوِّلُ له نفسه بهذا العمل.

والضمير يعود على الرجل والمرأة على حد سواء، فالمقصود بالأيدي هي اليد اليمنى للذكور و اليد اليمنى للإناث، وقد دل على ذلك ضمير التثنية ليشمل كلا الجنسين.[5]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص231)، يُنظَرُ: تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الرابع: هند سردار (ج341/4).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج461/7).

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج192/6).

(4) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج446/1).

(5) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج189/2)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج190/6).

والله جعل قطع اليد ﴿جَزَآءَۢ﴾ أي: مكافأة للسارق بما يناسب سرقته، و﴿نَكَٰلٗا﴾ أي: عقوبة شديدة من الله تعالى على فعله تمنعه من العود للسرقة.[1]

وقد ذكر العلماء شروطا وأوصافا لا بد من توافرها في المسروق حتى يقام الحد على السارق، فالأول: تحقق النصاب، والثاني: أن تكون السرقة من حرز [2]،[3] وهذا باتفاق الجمهور،[4] واختلف العلماء في نصاب المسروق كما ذكر الطبري، فمنهم من جعلها ثلاثة دراهم، ومنهم من جعلها ربع دينار، ومنهم من جعلها عشرة دراهم، ومنهم من جعلها في قليل السرقة وكثيره، ثم رجح أن نصاب السرقة هو ربع دينار فأكثر، للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (القطع في ربع دينار فصاعدا)[5].[6]

والقطع إنما يكون في اليد اليمنى،[7] وذكر القرطبي الإجماع وعدم الخلاف في ذلك.[8]

ت- لطيفتان:

اللطيفة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾:

ذِكرُ﴿وَٱلسَّارِقَةُ﴾ صراحة في الحكم مع أن أحكام النساء تأتي مدرجة في الأحكام الواردة في الرجال للمبالغة في الزجر وللإيضاح والبيان،[9] وحتى لا يتوهم أن الحد لا يكون إلا

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج410/8)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج192/6).

(2) "هو ما نصب عادة لحفظ أموال الناس." التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج530/3).

(3) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج353/11)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج126/2).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج453/7).

(5) صحيح مسلم: مسلم، كِتَابُ الْحُدُودِ/بَابُ حَدِّ السَّرِقَةِ وَنِصَابِهَا، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج1312/3: رقم الحديث 1684.

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج408/8-410).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج408/8)، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الرابع: هند سردار (ج347/4).

(8) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج468/7).

(9) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج34/3).

على الرجال، فقد كانوا في الجاهلية لا يقيمون الحدود على النساء إذ كانوا لا يقيمون لهن وزنا.[(1)]

اللطيفة الثانية: في تقديم الرجل في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾، وتأخيره في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[النور :2].

بدأ بالرجل في السرقة لأن السرقة تحتاج إلى الجرأة، والسرقة والجرأة عليها تكون في الرجال أكثر منها في النساء، وذلك على عكس الزنا الذي مبعثه الشهوة، أكثر ما يكون سببه النساء.[(2)]

ث- مسألة: العلة من فرض عقوبة القطع:

إن الأساس الذي قامت عليه عقوبة السرقة في الإسلام هو دفع العوامل النفسية التي تدعو لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف السارق وتنفره من السرقة، لأن السارق حينما يفكر في السرقة فإنه يكون بدافع زيادة الكسب والثراء لزيادة الإنفاق والظهور، وعقوبة القطع تؤدي إلى نقص الكسب والثراء وقلة الإنفاق، ثم إنه لن يستطيع أن يخدع الناس بعد ذلك وهو يحمل أثر الجريمة –السوابق- في جسمه، وبذلك كان التشريع الإسلامي في قطع يد السارق أفضل عقوبة تنفر من السرقة للسارق ولغيره.[(3)]

والله تعالى عندما بين هذه العقوبة وهذا الحد للناس فإنه ينفر من تسول له نفسه بالسرقة مادام أن أيديهم سوف تقطع حدا وعقوبة لهم على ذلك، "فَحِكْمَةُ مَشْرُوعِيَّةِ الْقَطْعِ: الْجَزَاءُ عَلَى السَّرِقَةِ جَزَاءً يُقْصَدُ مِنْهُ الرَّدْعُ وَعَدَمُ الْعَوْدِ،"[(4)] "والردع عن ارتكاب الجريمة رحمة – من الله تعالى- بمن تحدثه نفسه بها، لأنه يكفه عنها. ورحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة."[(5)]

---

(1) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج190/6).

(2) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج445/1)، تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الرابع: هند سردار (ج341/4).

(3) يُنظَرُ: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج884/2-885).

(4) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج193/6).

(5) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج886/2).

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور:2].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ **ٱلزَّانِيَةُ** ﴾: "المرأةُ المُطاوِعةُ للزِّنا الممكِّنةُ منه كما تنبئ عنه الصِّيغةُ لا المزنيةُ كُرهاً."[1]

﴿**وَٱلزَّانِي**﴾: ويقصد به الحر البكر غير المحصن،[2] وقد سبق تعريف الزنى.[3]

﴿**فَٱجْلِدُواْ** ﴾: الجلد: ضرب الجِلد، وهو من جلده، أي: ضرب جلده، وبطنه، أي: ضرب بطنه.[4]

﴿**وَلَا تَأْخُذْكُم** ﴾: "حَقِيقَتُهُ الِاسْتِيلَاءُ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِشِدَّةِ تَأْثِيرِ الرَّأْفَةِ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ وَامْتِلَاكِهَا إِرَادَتَهُمْ بِحَيْثُ يَضْعُفُونَ عَنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ."[5]

﴿**رَأْفَةٞ** ﴾: الرأفة: "أرق الرحمة،"[6] وقيل هي: "رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ تَنْشَأُ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ ضُرٍّ بِالْمَرْءُوفِ."[7]

﴿**دِينِ ٱللَّهِ** ﴾: أي طاعة الله تعالى، وتكون بإقامة شرعه وحدوده التي أمر بها،[8] أو "فِي حُكْمِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾[يوسف:76]، أَيْ فِي حُكْمِهِ."[9]

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج156/6).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج139/17).

(3) يُنظَرُ: ص 26 من الرسالة.

(4) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج98/4)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج145/18).

(5) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج150/18).

(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج113/15).

(7) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج150/18).

(8) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج139/17)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج113/15).

(9) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج113/15)، يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج279/3).

﴿عَذَابَهُمَا﴾: "حدهما إذا أقيم عليهما،"[1] "وتسميته عذابا دليل على أنه عقوبة."[2]

﴿طَآئِفَةٌ﴾: تطلق الطائفة عند العرب وتقع على الواحد فصاعدا، ويستحب أن لا يقل العدد عن أربع أشخاص وهو عدد شهود الزنا،[3] ولا خلاف أن الطائفة كلما كثرت فهو أليق بامتثال الأمر، لأن المراد جمع يحصل به التشهير.[4]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى للمؤمنين حكم الزاني غير المحصن من الرجال والنساء وهو الجلد مائة جلدة، محذرا إياهم من أن يتهاونوا في تطبيق شرع الله تعالى عليهم، ثم حضهم على ذلك عندما علق إقامة الحد على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وهو "من باب التهييج وإلهاب الغضب لله تعالى ولدينه."[5] ثم بين وجوب شهادة طائفة من المؤمنين على تطبيق ذلك الحد.

وقد ذكر الله تعالى الذكر والأنثى للتأكيد على حكم النساء في الجلد، حتى لا يظن أحد أن الحكم لا يشمل المرأة لأنها ليست بواطئة وأن الجلد على الواطئ وهو الرجل،[6] ثم أكد الله تعالى على ذلك المعنى بقوله ﴿كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا﴾ "لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدُهُمَا بِأَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْآخَرِ."[7]

وقُدمت المرأة على الرجل في الزنا لأن الزنا في ذلك الوقت قد كان فاشيا في النساء حيث كانت البغايا يجاهرن به ويتخذن رايات لهن، وكذلك لأن عار الزنا أشد على المرأة من الرجل،

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج279/3).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج487/2).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج149/17).

(4) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج161/4)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج98/4).

(5) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج209/3)، يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج487/2).

(6) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج103/15).

(7) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج146/18).

فالمرأة يلزمها الاحتجاب والصيانة عن كل ما يجلب لها العار،[1] وقيل لأن "الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه،"[2] وتقديم ﴿ ٱلزَّانِيَةُ ﴾ يفيد الشدة في التحذير.[3]

أجمع العلماء على أن الضرب يكون بسوط – هو ما يضرب به الراكب الفرس – متوسط اللين وأن يكون الجَلدُ مؤلما ولكنه لا يجرح، فلا يُخرج الضارب يده من تحت إبطه.[4]

ت– لطيفة: في قوله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُواْ ﴾:

قال الله تعالى ﴿فَٱجْلِدُواْ ﴾ ولم يقل (فاضربوا) ليدل على أن المقصود هو ضرب الجلد، "وأنه لا يُبالغ ليصل الألم إلى اللحم."[5]

واختلف المفسرون في تفسير الرأفة المنهي عنها إلى قولين؛ فمنهم من أولها بأنها الرأفة التي تؤدي إلى ترك وتعطيل الحد وعدم إقامته على أهل الزنا، ومنهم من أولها بأنها الرأفة التي يقيمون بها الحد ولكنهم يخففون في الضرب فلا يوجعونهم ضربا، وقد رجح الطبري رحمه الله تعالى القول الأول، لأنه لا يوجد حد لشدة الضرب فيؤمر به مقيم الحد، ولا يجوز وصف الله تعالى بأنه أمر بأمر لا سبيل للمأمور إلى معرفته، فبقي أن المأمور به هو إقامة الحد بعدد الجلد وهو ﴿مِأْئَةَ جَلْدَةٍ﴾،[6] ومن العلماء من جمع بين القولين فيكون النهي عن تعطيل الحد رأفة وشفقة بالزاني وعن تخفيف الضرب عن المقام عليه الحد بحيث لا يكون ضربا شديدا موجعا.[7]

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج161/4)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج102/15).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج98/4).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج146/18).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج108/15،106)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج147/18).

(5) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج486/2)، يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج278/14).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج139/17–144).

(7) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج112/15)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج487/2).

والأولى أن يكون النهي عن كل ما فيه تضييع لمقصد العقوبة في الزجر عن الزنا للزاني وللاتعاظ لغيره من ضعاف النفوس، فلا يجوز ترك الحد وتعطيله، وكذلك لا يجوز إنقاص عدد الجلدات أو تخفيفها بحيث لا تكون موجعة وتؤدي الغرض منها.

وقد أراد الله تعالى زيادة التوبيخ على الزناة بحضرة الناس، فالفضيحة قد تسوء الزاني أكثر مما تسوء العقوبة.[1]

ولا شك في أن ترتيب حد الجلد على الزاني البكر فيه تنفير شديد من هذه الرذيلة التي تؤدي إلى انتشار الفساد في المجتمع.

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج162/4)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج98/4).

المبحث الثالث

أسلوب جعل الفعل سببا للعقوبة الآجلة

المطلب الأول: العقوبة لغة واصطلاحا:

1- العقوبة لغة:

"العِقاب والمعاقبة: أَن تجزيَ الرجلَ بِمَا فعل سُوءاً، وَالِاسْم العُقوبة،"[1] و"عاقبه بِذَنبِهِ مُعاقبَة وعِقابا: أَخذه بِهِ."[2]

2- العقوبة اصطلاحا:

العقَاب: هو "جزاء الشَّر،"[3] و"هو ما يلحق الإنسان بعد الذّنب من المحنة في الآخرة."[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نهى الله تعالى في كتابه الكريم وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن جميع الرذائل والمنكرات، ثم جعل للمخالفين عقوبات في الآخرة، وهذه العقوبات تختلف باختلاف الجريمة، ومن أغراض هذه العقوبات التنفير من فعل الرذائل من خلال التهديد والوعيد للمخالفين لشرع الله تعالى.

فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى باليوم الآخر وعلم أنه سيعرض يوم القيامة على الله عز وجل وسيحاسبه على فعل الرذائل، فإنه إذا هَمَّ بفعل رذيلة وتذكر وعيد الله تعالى وعقوبته في الآخرة عليها نَفَرَ عنها.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للعقوبة الآجلة:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[النساء:10].

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج183/1).

(2) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج243/1).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص653)

(4) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج (ج1192/2).

أ- **المفردات اللغوية:**

﴿يَأْكُلُونَ﴾: يأخذون ويستحوذون.[1]

﴿الْيَتَامَىٰ﴾: "جمع يتيم: وهو من فقد أباه، وهو شرعا وعرفا مختص بمن كان دون البلوغ."[2]

﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: "ملء بطونهم."[3]

﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: مِنَ الصَّلَا، وهو: الِاصْطِلَاءُ بِالنَّارِ، والتَّسَخُّنُ بِهَا، والمراد أنهم سيدخلون النار وسيحرقون بها.[4]

﴿سَعِيرًا﴾: نَارًا مُسَعَّرَةً: أَيْ مَوْقُودَةً مُشْعَلَةً، شَدِيدًا حَرُّهَا، والسعير: الجمر المشتعل، وهي نار من النيران مبهمة الوصف.[5]

ب- **التفسير والبيان:**

يتوعد الله عز وجل في هذه الآية الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بغير وجه حق بالعذاب الشديد يوم القيامة وبالدخول في نار جهنم وبالاحتراق بنار شديدة الحر والعياذ بالله تعالى.

وقد قيد الله تعالى أخذ مال اليتيم بالظلم ليدل على جواز الأكل بالمعروف، وجواز مخالطة طعام الأولياء بطعام اليتامى لرفع الحرج عنهم.[6]

---

(1) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج255/4).

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج/561).

(3) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج491/1)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج62/2).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج455/6). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج62/2).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج456/6)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج15/2)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج492/1).

(6) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص166)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج254/4).

وأخذ مال اليتيم منهي عنه في كل وجه يضر باليتيم وبماله، سواء أكان أكلا أم إتلافا أم تقصيرا، "وسمي آخذ المال على كل وجوهه آكلا لما كان المقصود هو الأكل وبه أكثر الإتلاف للأشياء."[1]

وذكر البطون مع أن الأكل لا يكون إلا فيها إما للتأكيد كقول القائل: رأيت بعيني وسمعت بأذني،[2] أو لزيادة التشنيع عليهم ببيان أن سبب أكلهم أموال اليتامى إنما هو بسبب بطونهم، وهذا من أنذل الأسباب وأنقصها.[3]

وأكل النار إما أنه على الحقيقة أي أنهم يأكلون النار حقيقة يوم القيامة أو على المجاز باعتبار أن أكلهم أموال اليتامى ظلما يؤول إلى دخولهم النار فسماه الله تعالى نارا[4] أو لأنه كان سببا في دخول النار فعبر بالمسَبَّب عن السبب،[5] "فأطلق النار مجازا مرسلا بعلاقة الأَوْلِ أو السببية."[6]

ت- لطيفة في قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾:

يجوز أن يكون اسم النار مستعارا عن لوازمها مثل الألم والهلاك والتلف، لأن النار تتلف كل ما تصيبه، فيكون المقصود بها ليس نار الآخرة ولكنها المصائب التي تصيبهم في الدنيا.[7]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج90/6)، يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج14/2).

(2) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج345/1).

(3) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج14/2)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج90/6).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج14/2).

(5) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج494/1).

(6) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج254/4).

(7) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج254/4).

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[المائدة:10].

أ- المفردات اللغوية:

﴿كَفَرُواْ﴾: "جَحَدُوا وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ ، وَنَقَضُوا مِيثَاقَهُ وَعُقُودَهُ الَّتِي عَاقَدُوهَا إِيَّاهُ."[1]

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: "بأَدِلَّةِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ وَغَيْرِهَا."[2] وتشمل الآيات القرآنية التي تأمرهم بالبر والتقوى.[3]

﴿أَصۡحَٰبُ﴾: كناية عن عدم المفارقة، فهم الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه، فهم لا يفارقونها.[4]

ب- التفسير والبيان:

يتوعد الله تعالى في هذه الآية الكافرين الذين يكفرون بوحدانية الله تعالى، ويكذبون بأدلة الله تعالى وبراهينه وحججه التي ساقها الله تعالى على أيدي الرسل للناس، لتكون دليلا لهم جميعا على وحدانية الله تعالى، ويكذبون بآيات القرآن الكريم في الأمر بالتقوى والعدل والإيمان بالله تعالى، يتوعدهم الله تعالى إذا اتصفوا بتلك الصفات الشنيعة بأنهم سيدخلون النار وسيعذبون بها.

و"هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس إلا للكفار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال: فلان صاحب فلان يعني الملازم له."[5]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من الكفر ببيان العقوبة الآجلة التي للكافرين، وهي الخلود في النار، وعدم مفارقتها، والعياذ بالله تعالى.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج227/8)، يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج21/2).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج227/8).

(3) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج12/3).

(4) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج432/1)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص224).

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج21/2).

المبحث الرابع

أسلوب مقت الفعل عند الله تعالى

المطلب الأول: المقت لغة واصطلاحا:

1- المقت لغة:

"المقت: أَشد الإبغاض، مقت مقاتة، ومقت مقتا، فَهُوَ ممقوت، ومقيت،"[1] "وَيُقَال مَا أَمْقَتَه عِنْدِي تُخبر أَنه ممقوت عنْدك، وَمَا أَمْقَتَنِي لَهُ تخبر أَنَّك شَدِيد المقت لَهُ."[2]

2- المقت اصطلاحا:

المقت: "بغض شديد ناشئ عن فعل قبيح،"[3] وهو: أَشد البغض، وأبلغه، وأفحشه.[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

نهى الله تعالى في كتابه العزيز عن الرذائل نهيا ينفر السامع عن فعلها ببيان مقت الله تعالى لها ومقته لفاعلها، فمقت الله تعالى للرذيلة لا يدل على تحريمها فحسب، بل يبعث على التنفير من فعلها لأن الله تعالى يمقتها ويبغضها بغضا شديدا، وما اشتد بغضه عند الله تعالى اشتد انتقامه من فاعله والعياذ بالله تعالى من كل ما يغضبه.

وإذا كان على المسلم أن يكون وقافا عند حدود الله تعالى، فيأتمر بما أمر وينتهي عن ما نهى عنه وزجر، فكيف يفعل أشد الأعمال بغضا عند الله تعالى.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على مقت الفعل عند الله تعالى:

المثال الاول: قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[غافر:35].

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج344/6).

(2) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج879/2)

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص312).

(4) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج521/4)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري (ص882).

أ- المفردات اللغوية:

﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: المجادلة: "تَكْرِيرُ الِاحْتِجَاجِ لِإِثْبَاتِ مَطْلُوبِ الْمُجَادِلِ وَإِبْطَالِ مَطْلُوبِ مَنْ يُخَالِفُهُ."[1]

﴿سُلْطَٰنٍ﴾: السلطان هو: الحجة والبرهان.[2]

﴿كَبُرَ﴾: عظم،[3] "وَالْكِبْرُ: مُسْتَعَارٌ لِلشِّدَّةِ، أَيْ مَقَتَ جِدَالَهَمْ مَقْتًا شَدِيدًا."[4]

﴿مَقْتًا﴾: مَقْتُ اللَّهِ تَعَالَى بذمهم ولعنهم وإحلال العذاب بهم، وأما مقت المؤمنين فهو بهجرهم وترك التعامل معهم.[5]

ب- التفسير والبيان:

في هذه الآية يبين الله تعالى حال الذين يجادلون في آياته التي جاء بها الأنبياء والرسل من غير حجة ولا برهان يأتيهم من عند الله تعالى، فيبين عظيم مقته وغضبه على جدالهم، وكما يمقت الله عز وجل جدالهم فإن أولياءه المؤمنين يمقتونه كذلك.

فالكافرون يجادلون في آيات الله تعالى ليبطلوها، إما بتكذيبها، أو بدفعها،[6] وجدالهم قائم على الشبهات أو على التقليد الأعمى.[7]

وقد أفادت صيغة المضارع في الفعل ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ التجدد والاستمرارية والتكرار في جدالهم بالباطل، فهي كناية عن ذمهم وذم جدالهم.[8]

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (142/24).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج322/20).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج211/3).

(4) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (143/24).

(5) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج357/18)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (143/24).التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج436/12).

(6) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج559/4)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج74/4).

(7) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج513/27).

(8) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (142/24).

وقد استدل العلماء من هذه الآية على استحسان الجدال بالحجة والبرهان لإحقاق الحق وإبطال الباطل.[1]

ت- لطيفة في قول الله تعالى: ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

أفاد عطف مقت الله عز وجل للجدال بالباطل على مقت المؤمنين الثناءَ على المؤمنين بأنهم يكرهون الباطل، وبيانَ قدرهم عند الله تعالى، ففيه مدح للمؤمنين ببيان أوصافهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[التوبة:71].[2]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من الجدال بالباطل الذي لا يقوم على الحجة والبرهان ببيان شدة مقته سبحانه وتعالى له، ويحصل التنفير من الجدال بالباطل أيضا ببيان أن هذه الصفة الذميمة هي من صفات الكافرين وليست من صفات المؤمنين، بل إن المؤمنين يمقتونها كما أن الله تعالى يمقتها.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:3].

أ- سبب النزول:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله تعالى عنه، قَالَ: (قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذَاكَرْنَا، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ لَعَمِلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:1-2]، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: "فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).[3]

(1) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج513/27).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج144/24).

(3) سنن الترمذي: الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الصَّفِّ، تحقيق: بشار معروف، ج412/5-413: رقم الحديث 3309. وصححه الألباني [صحيح سنن الترمذي، الألباني (ج350/3)].

"فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قَبْلَ أَنْ يُخْلِفُوا مَا وَعَدُوا بِهِ فَيَكُونُ الِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلًا مَجَازًا فِي التَّحْذِيرِ مِنْ عَدَمِ الْوَفَاءِ بِمَا نَذَرُوهُ وَوَعَدُوا بِهِ."[1]

ب- المفردات اللغوية:

﴿كَبُرَ﴾: "وَالْكِبَرُ: مُسْتَعَارٌ لِلشِّدَةِ لِأَنَّ الْكَبِيرَ فِيهِ كَثْرَةٌ وَشِدَّةٌ فِي نَوْعِهِ."[2]

﴿مَقْتًا﴾: أشد البغض وأبلغه وأفحشه.[3]

ت- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى في هذه الآية أن الإنسان محاسب على ما يقوله إذا لم يعمل به، وذلك لأن الله تعالى يمقت ذلك، والآية وإن كانت خاصة في سبب النزول إلا أن معناها صالح لكل الطاعات والأعمال الصالحة، لأن "النصوص القرآنية دائما أبعد مدى من الحوادث المفردة التي تنزل الآيات لمواجهتها، وأشمل لحالات كثيرة غير الحالة التي نزلت بسببها، ومن ثم فإننا نسير مع هذه النصوص إلى مدلولاتها العامة، مع اعتبار الحادث الذي تذكره روايات النزول."[4]

والله تعالى لم يقتصر على وصف البغض بالكُبر في قوله تعالى ﴿كَبُرَ﴾ حتى وصفه بأنه أشد البغض وأفحشه عندما وصفه بقوله تعالى ﴿مَقْتًا﴾، ثم أثبت شدة البغض بجعله عند الله تعالى لتتم بذلك كبرته وشدته،[5] "فالمقت الذي يكبر عند الله تعالى هو أكبر المقت وأشد البغض وأنكر النكر، وهذا غاية التفظيع لأمر، وبخاصة في ضمير المؤمن، الذي يُنادى بإيمانه، والذي يناديه ربه الذي آمن به."[6] يقول البقاعي: "وزاد في تبشيعه زيادة في التنفير منه بقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي الملك الأعظم الذي يحقر عنده كل متعاظم."[7]

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج172/28).

(2) المرجع السابق (ج175/28)، ينظر: ص 129 من الرسالة.

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج521/4)، ، ينظر: ص129 من الرسالة.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3552/6).

(5) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج521/4).

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3552/6).

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج6/20).

ولذلك فإنه يجب على كل من ألزم نفسه بعمل صالح أن يعمله ما دام أنه في طاعة الله تعالى،[1] لأن عدم الفعل يستلزم مقت الله تعالى، ومن استحق مقت الله تعالى لزمه العذاب.[2]

فالآية تنفر من مخالفة الأفعال للأقوال ببيان المقت المستحق من الله تعالى، فمن آثار مقت الله تعالى على الذي لا يعمل بما يقول أن الله تعالى يعذبه عذابا شديدا يوم القيامة كما في الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ.)[3] فالمؤمن الذي يمتثل لأمر ربه عز وجل ينفر من كل ما يمقته تعالى.

---

(1) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج78/18).

(2) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج527/29).

(3) صحيح مسلم: مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ/بَابُ عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج2290/4: رقم الحديث 2989.

الفصل السادس

التنفير بأسلوب عداوة الله ومحاربته والاستبدال وقصص الأمم السابقة

المبحث الأول

أسلوب جعل الفعل سببا لعداوة الله ومحاربته

المطلب الأول: العداوة والمحاربة لغة واصطلاحا:

1- العداوة لغة:

العَداوَةُ: اسْمٌ عامٌّ مِن العَدْوِ، والعَدُوُّ: ضدُّ الوَلِيِّ؛ والجمع الأعداءُ، وهو وصفٌ ولكنّه ضارع الاسمَ. يقال: عَدَوٌّ بيِّن العَداوَةِ والمعاداة، وتَعادَى القومُ: عادَى بعضُهم بَعْضًا.[(1)]

2- العداوة اصطلاحا:

العداوة هي: "ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام،"[(2)] وعداوة الله للعبد تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه، وعدم التجاوز عنه أو المغفرة له.[(3)]

3- المحاربة لغة:

المحاربة من الحرب، وهي: الْمُقَاتَلَةُ وَالْمُنَازَلَةُ، وهي نَقِيضُ السِّلْم، وفلانٌ حَرْبٌ لِي أَي عَدُوٌّ مُحارِبٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحارِباً، ودَارُ الحَرْبِ: بِلادُ المُشْرِكين الَّذين لَا صُلْحَ بَينهم وَبَين الْمُسلمين.[(4)]

4- المحاربة اصطلاحا:

محاربة الله تعالى إما أن تكون حربا حقيقية، أو أن يكون القصد منها المبالغة في التهديد والوعيد.[(5)]

---

(1) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج13/39)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار (ج2419/6).

(2) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد السود (ص148)،التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي(ص237)

(3) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج184/1)، فتح القدير، الشوكاني (ج137/1).

(4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج249/2)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس (ج127/1)، لسان العرب، ابن منظور (ج303/1)، تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب(ج16/5).

(5) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج212/1).

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق

نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن فعل الذنوب والمعاصي والرذائل، ونفر منها بأساليب متنوعة، ومن أشد أنواع التنفير ما رتب الله على فعله عداوته سبحانه وتعالى للفاعل أو محاربته له، فهذا عداء معلن من الله تعالى على الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:98]، وحرباً معلنةً من الله تعالى على أصحاب الربا أفرادا كانوا أم جماعات، عداوةً وحرباً لا يخوضها أحد مع الله القوي العزيز إلا كان الخسران المبين عاقبته الحتمية.

إن من الناس من لا يمتثل لأمر الله تعالى ونهيه حتى ينفره الله تعالى منه، فإذا علم أنه في حرب وعداوة من الله تعالى عليه نَفَرَ منها وانزجر عنها.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا لعداوة الله ومحاربته:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[البقرة:278-279].

أ- القراءات:

﴿ فَأْذَنُواْ ﴾: ورد فيها قراءتان:[1]

*(فآذِنوا): بفتح الهمزة وألف بعدها وكسر الذال، وقرأ بها شعبة وحمزة.

* ﴿ فَأْذَنُواْ ﴾: بإسكان الهمزة وفتح الذال، قرأ بها الباقون.

ب- المفردات اللغوية:

﴿ وَذَرُواْ ﴾: دَعُوا، واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس تركاً كلياً.[2]

(1) يُنظَرُ: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي الضباع (ج236/2)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي (ص56).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج49/5)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج267/1).

﴿ مَابَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾: أي: الزيادة المتبقية لكم على رأس المال.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ إِيمَانَكُمْ قَوْلًا، وَتَصْدِيقَكُمْ أَلْسِنَتِكُمْ بِأَفْعَالِكُمْ، مؤمنين بِمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْبَيْعِ، وَتَحْرِيمِ الرِّبَا وَغَيْرِ ذَلِكَ.

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾: أي: تَذَرُوا وتتركوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا.[1]

﴿فَأْذَنُواْ ﴾: اعلموا واستيقنوا الحرب من الله تعالى عليكم، ويكون المعنى على القراءة الأخرى (فَآذِنوا) أي أعلموا غيركم ممن بقي على الربا بالحرب،[2] "وذلك يقتضي معنى ﴿فَأْذَنُواْ﴾ لأنه لا يكون الإنسان مُؤذِنا حتى يكون آذِنًا."[3]

ت- سبب النزول:

نزلت هذه الآية في قوم أسلموا وكانوا يتعاملون بالربا قبل إسلامهم، فلما جاء الإسلام عفا الله تعالى عنهم في ما قبضوه من أموال الربا في الجاهلية، وحرم عليهم أن يأخذوا ما تبقى منه على الناس في الإسلام،[4] وليس في الباب حديث يصح في سبب نزول الآية حسب ما وقف عليه الباحث.

ث- لتفسير والبيان:

يأمر الله تعالى المؤمنين أن يتركوا ما بقي مما لهم من ربا الجاهلية الذي كانوا قد تعاقدوا عليه قبل دخولهم في الإسلام، فالظاهر أن الله تعالى أبطل الربا غير المقبوض، أما ما كان مقبوضا فهو معفو عنه،[5] ثم يحذرهم جل وعلا إن لم يلتزموا أمره تعالى في ذلك أن يتيقنوا بحرب من الله تعالى عليهم، وأي حيلة وأي قوة لديهم حتى يحاربوا الله عز وجل بها، فهم خاسرون فيها لا محالة.

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج5/49-51)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة(ج1/716).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج5/51)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (ج1/359)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: عبد العال مكرم (ص103).

(3) تفسير الراغب الأصفهاني ، تحقيق الجزء الأول: محمد عبد العزيز بسيوني (ج1/584).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج5/49).

(5) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج4/403).

اختُلف في معنى الحرب، أهي للتهديد والوعيد دون أن يُقصد بها الحرب نفسها، أو أنها هي الحرب ذاتها، لأن الإمام يُعَزِّرُ آكل الربا ويحبسه حتى تظهر منه التوبة، فإن كان آكل الربا صاحب قوة ومنعة فعلى الإمام أن يحاربه ويقاتله حتى يتوب منه،[1] ويُقاتَل كقتال الباغي دون أن يُخرجه ذلك من الإيمان فهو ليس كافراً،[2] "فالإمام مكلف – حين يقوم المجتمع الإسلامي – أن يحارب الذين يصرون على قاعدة النظام الربوي، ويعتون عن أمر اللّه تعالى، ولو أعلنوا أنهم مسلمون."[3]

وقد أفاد تنكير الحرب التعظيم، ثم نسبت الحربُ إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك زيادة في تعظيمها،[4] حرب رهيبة معروفة المصير مقررة العاقبة من اللّه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فأين الإنسان الضعيف الفاني من تلك القوة الجبارة الساحقة الماحقة؟! فهذه الحرب المعلنة من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم حرب مدمرة شاملة لكل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، فهي حرب على البركة وحرب على الرخاء وحرب على السعادة والطمأنينة، فهي حرب أعم من حرب الإمام بالسيف على أهل الربا.[5]

ج– لطيفة في قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ﴾:

ذكر بعض المفسرين أنها من الإذن، والإذن يتضمن التقرير، فيكونون هم الذين قرروا الحرب على الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهم الباغون بها.[6]

---

(1) يُنظَرُ: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج212/1).

(2) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج163/1).

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج331/1).

(4) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج341/1).

(5) يُنظَرُ: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج330/1–331).

(6) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج375/1).

المثال الثاني : قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:98].

أ- المفردات اللغوية:

﴿عَدُوٌّ﴾: عداوة الله للعبد تعذيبه وإظهار أثر العداوة عليه، وعدم التجاوز عنه أو المغفرة له.[1]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى في هذه الآية أن عداوته سبحانه متحققة وثابتة للكافرين، فقد جاءت الجملة الاسمية لتفيد ذلك الثبات لتدل على زيادة التقبيح لهم.[2]

وعداوة الله تعالى مجازية غير حقيقية، فهي تدل على ما تستلزمه العداوة من التعذيب والهلاك والانتقام،[3] فالله تعالى هو الذي خلق الناس ليعبدوه، فمن كفر به وبرسله فإن الله تعالى ينتقم منه ويعذبه في الدنيا والآخرة.

فالله تعالى يُنفر الناس من الكفر ببيان أن الله تعالى عدو للكافرين، فمن جاءه الحق وعلمه واستيقنه ثم أصر على البقاء على الكفر فقد عاداه الله عز وجل، ومن عاداه الله تعالى فقد خسر خسرانا مبينا، لأنه لا قبل لأحد من الخلق أن يعادي ربه وخالقه سبحانه وتعالى، وهذا من أساليب القرآن الكريم في التنفير من الكفر.

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج1/184)، فتح القدير، الشوكاني (ج1/137)، ينظر: ص134 من الرسالة.

(2) يُنظَرُ: صفوة التفاسير، الصابوني (ج1/79)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي(ج1/256).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج17/624).

المبحث الثاني

أسلوب جعل الفعل سببا للاستبدال

المطلب الأول: الاستبدال لغة واصطلاحا:

1- الاستبدال لغة:

"الِاسْتِبْدَالُ: التَّبْدِيلُ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ،"[1] وبَدَّلَهُ تَبدِيلاً: حَرَّفَهُ وغَيَّره بغَيرِه، وأبدله: غَيَّره، وتَبَدَّلَ: تَغَيَّرَ.[2]

2- الاستبدال اصطلاحا:

"هُوَ رفع الشَّيْء وَوضع غَيره مَكَانَهُ، والتبديل: قد يكون عبارَة عَن تَغْيِير الشَّيْء مَعَ بَقَاء عينه، يُقَال: بدلت الْحلقَة خَاتمًا: إِذا أدرتها وسويتها ... وَقد يكون عبارَة عَن إفناء الذَّات الأولى وإحداث ذَات أُخْرَى، كَمَا تَقول: بدلت الدَّرَاهِم دَنَانِير."[3]

واستبدال الله تعالى يكون على المعنى الثاني، بإفناء أهل المعاصي والرذائل واستبدالهم بالمؤمنين الطائعين الممتثلين لأوامر الله تعالى.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

الاستبدال الإلهي من أعظم العقوبات التي تقع من الله تعالى على عباده، والمؤمن لا يرضى على نفسه أن يستبدله الله تعالى فيهلكه ويأتي بمن هو أفضل منه، يقول سيد قطب في ذلك: "وإنها لنذارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحس بكرامته على الله تعالى، وبمقامه في هذا الكون....وما يطيق الحياة وما يطعمها إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويطرد من الكنف، وتوصد دونه الأبواب، لا بل إن الحياة لتغدو جحيما لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب، ومن ثم كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن وهو يتلقاه من الله تعالى."[4]

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج138/26).

(2) ينظر:تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج66/28)، المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون(ج44/1).

(3) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري(ص31)

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج3303/6-3304).

ولذلك فالله تعالى لما أراد أن ينفر من الرذائل كترك النفرة في سبيل الله تعالى، والامتناع عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، والردة عن دينه تعالى، فقد بين أن جزاء ذلك هو الاستبدال كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾[المائدة:54].

والله تعالى جعل الاستبدال سنة كونية لأنه هو الغني سبحانه، فالخلق كلهم بحاجة إلى ربهم، والله تعالى لا يحتاج أحدا، ولذلك فإن سنة الاستبدال لا تستثني أحدا.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل سببا للاستبدال:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[التوبة:39].

أ- المفردات اللغوية:

﴿تَنفِرُواْ﴾: "النفر: هو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث."[(1)]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى للمؤمنين محذرا إياهم ومتوعدا من التخلف عن النفرة في سبيله تعالى بأنه سيعذبكم عذابا أليما، ثم يستبدلكم ويأتي بقوم غيركم لا يتصفون بما اتصفتم به، بل يتصفون بالسمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنتم بترككم النفير لا تضروا الله تعالى شيئا، فالله تعالى هو الغني عنكم وعن غيركم، وهو سبحانه قادر على إهلاككم وتعذيبكم في الدنيا والآخرة واستبدال غيركم، "وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ مُؤَكَّدٌ فِي تَرْكِ النَّفِيرِ."[(2)]

"وَاخْتُلِفَ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَنْ هُمْ. فَقِيلَ: أَهْلُ الْيَمَنِ، وَقِيلَ: أَهْلُ فَارِسَ، وَلَا وَجْهَ لِلتَّعْيِينِ بِدُونِ دَلِيلٍ،"[(3)] فالصحيح أن الخطاب "عام في مدلوله لكل ذوي عقيدة في الله عز وجل."[(4)]

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج34/3)، يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج412/2).

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج208/10).

(3) فتح القدير، الشوكاني (ج413/2)، يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج268/2).

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج1655/3).

والعذاب المذكور هنا إما أن يكون عذابا دنيويا بحبس المطر، أو بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو،[1] أو أن يكون العذاب الأليم هو العذاب المطلق فيشمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة،[2] "والتهديد بعمومه أشد تخويفا."[3]

والتوعد بالاستبدال يكون بالإهلاك ثم بالاستبدال بقوم آخرين هم خير منهم،[4] وفي هذا الوعيد ما لا يخفى من التنفير من ترك النفرة في سبيل الله تعالى.

واختلف في الضمير في قوله تعالى ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾، فقيل إنه عائد للرسول صلى الله عليه وسلم، أي لا تضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخذلانكم له لأن الله تعالى وعده أن يعصمه من الناس وبالنصر والتمكين،[5] وهذا الذي رجحه ابن عطية رحمه الله تعالى في تفسيره،[6] أو أنه عائد إلى الله تعالى، أي لا تضروه في ذاته سبحانه وتعالى ولا في دينه.[7]

ت- لطيفة: في قوله تعالى ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

"وصفُهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيدِ والتشديد في التهديد بالدِلالة على المغايرةِ الوصفيةِ والذاتيةِ المستلزِمة للاستئصال أي قوماً مطيعين مُؤْثرين للآخرة على الدنيا...وفيه من الدِلالة على شدة السُّخط ما لا يخفى."[8]

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[محمد:38].

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج460/11)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج81/3).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج268/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج680/1).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج34/3).

(4) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج680/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج65/4).

(5) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج268/2).

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج34/3).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج460/11).

(8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج65/4).

أ- معاني المفردات:

﴿تَتَوَلَّوۡا﴾: التولي: "الرُّجُوعُ، وَاسْتُعِيرَ هُنَا لِاسْتِبْدَالِ الْإِيمَانِ بِالْكُفْرِ، وَلِذَلِكَ جُعِلَ جَزَاؤُهُ اسْتِبْدَالَ قَوْمٍ غَيْرِهِمْ، كَمَا اسْتَبْدَلُوا دِينَ اللَّهِ تعالى بِدِينِ الشِّرْكِ."[1]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى لعباده المؤمنين أنهم مدعوون إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى، فمنهم من ينفق، ومنهم من يبخل، فمن بخل بالإنفاق في سبيل الله تعالى فإنما يبخل عن نفسه، لأنه حرمها من الأجر والثواب عند الله تعالى يوم القيامة عندما يكون في أمس الحاجة إليهما، حتى ينال رضى الله تعالى ويفوز بالجنان، والله تعالى غني لا يحتاج الإنفاق، وكيف يحتاج الغني -وهو الله جل وعلا- نفقة من مخلوق فقير؟

ثم بين الله تعالى أن جزاء من تولى عن دين الله تعالى هو الاستبدال، فيهلكه الله تعالى ثم يأتي بقوم غيرهم، بل وأفضل عند الله تعالى منهم، وينفقون حيث يؤمرون.

والدعوة إلى الإنفاق إما أن تكون بمعنى الأمر أي أنكم مأمورون بالإنفاق، أو أن تكون من قبيل الترغيب، فتكون هذه الآية تمهيدا للآيات التي توجب الإنفاق.[2]

وذكر العلماء أن الإنفاق المطلوب هو الإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى ولنصرة الدين،[3] وقيل تشمل النفقة في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الزكاة،[4] أو أنه يشمل جميع وجوه البر.[5]

ثم بين الله تعالى أن الذي يبخل في الإنفاق في سبيل الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾، فلا يتعدى ضرر بخله إلى غير نفسه، فالله تعالى ما حث على النفقة في سبيله إلا لينال بها

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج138/26).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج136/26).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج231/21).

(4) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج125/5)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج331/3).

(5) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج151/4).

المنفقون الأجر والثواب منه تعالى، فتكون ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ بمعنى على نفسه، أي بخل على نفسه الأجر والثواب، والفعل بخل يتعدى ب "عن" و "على" فتقول بخلت عنه وبخلت عليه.[1]

وقد جاء في القوم الذين يستبدلهم الله تعالى في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ قَالُوا: يا رسول الله من هؤلاء الذي إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَنَا فَضَرَبَ عَلَى فَخِذِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله تعالى عنه، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا وَقَوْمُهُ لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثريا لتناوله رجال من فارس.)[2]

وجاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا أنه قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ تعالى: إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا، ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَنَا؟ قَالَ: وَكَانَ سَلْمَانُ بِجَنْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخِذَ سَلْمَانَ، وقَالَ: (هَذَا وَأَصْحَابُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ)[3]، وفي ذلك دلالة على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أهل فارس لم يرتدوا بعد إيمانهم، فهم إذا آمنوا فإنهم لا يرتدون عن دينهم، في حين أن العرب ارتدوا بعد إيمانهم. [4]

ففي هذه الآية ينفر الله تعالى من الردة عن دينه ببيان عاقبة المرتد بالهلاك والاستبدال، نسأل الله تعالى العفو العافية.

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج327/4)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج291/19)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج125/5).

(2) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ابن حبان، إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين/ذكر سلمان الفارسي رضي الله تعالى عَنْهُ، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج63/16: رقم الحديث 7123. وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(3) سنن الترمذي: الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ/وَمِنْ سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحقيق: بشار معروف، ج237/5: رقم الحديث 3261. قال الألباني: حديث صحيح [صحيح سنن الترمذي، الألباني (ج329/3)].

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج139/26).

المبحث الثالث

أسلوب الوعظ بقصص الأمم السابقة

المطلب الأول: القصة لغة واصطلاحا:

1- القصة لغة:

"الْقَصُّ: تتبّع الأثر، يقال: قَصَصْتُ أثره، والْقَصَصُ: الأثر،"[1] و"القِصَّة: الَّتِي تكْتب، وَالْجُمْلَة من الْكَلَام، والْحَدِيث، وَالْأَمر، وَالْخَبَر، والشأن، وحكاية نثرية طَوِيلَة، تستمد من الخيال أَو الْوَاقِع أَو مِنْهُمَا مَعًا، وتبنى على قَوَاعِد مُعينَة من الْفَنّ الْكِتَابِيّ،"[2] و"القَاصُّ: مَنْ يَأْتِي بالقِصَّة على وَجْهِهَا، كأَنَّهُ يَتَتَبَّعُ مَعَانِيَهَا وأَلْفَاظَها."[3]

2- القصة اصطلاحا:

تختلف القصة الأدبية عن القصص القرآني، فالقصص القرآني له أسلوبه وأغراضه الخاصة به.

"قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه."[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصصا عن أقوام سابقين، وتركزت القصص في بيان علاقة هؤلاء الأقوام مع أنبيائهم، وموقفهم من الدعوة إلى توحيد الله تعالى، والإيمان برسله، ثم بيان سوء العاقبة التي حلت بالكافرين بشتى أنواع العذاب في الدنيا، مع بيان أعمالهم من الرذائل التي أوجبت لهم العذاب.

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي (ص671).

(2) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج740/2)

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى (ج99/18).

(4) مباحث في علوم القرآن، القطان (ص316)، يُنظَرُ: نفحات من علوم القرآن، محمد معبد (ص106).

وقد بين الله تعالى لنا أحوال أمم منهم، وما أنعم الله تعالى به عليهم من شدة القوة وكثرة النعيم والعيش الرغيد وغير ذلك، قبل أن يحل بهم العذاب، وذلك زيادة لنا في التنفير من الاغترار بما اغتروا به، فكفروا فاستحقوا عذاب الله تعالى.

وقد أكثر الله تعالى من القصص في القرآن الكريم، وأخذ القصص مساحة واسعة في كتاب الله تعالى، وما ذلك لشيء إلا لأهميتها في تحقيق مقاصد القرآن الكريم في الوعظ بمصير الأمم السابقة بغرض التنفير من تلك الرذائل التي أهلكهم الله تعالى بسببها، فاستحقوا العذاب والهلاك لرفضهم التخلي عنها، وتفضيلهم لعذاب الله تعالى وهلاكه على أن يتركوها، "ويلاحظ أن جميع الأنبياء متفقون على أصول الرسالات من الدعوة إلى توحيد الله تعالى، واحترام الفضائل ومحاربة الرذائل، ثم يقوم كل واحد منهم بمعالجة الظواهر المَرَضِية، والأوضاع الشاذة عند قومه."(1)

فمن أسباب العقوبات التي حلت بالأمم السابقة، الشرك بالله تعالى، وهو أم الرذائل، وتكذيب الرسل، والاستكبار، وكفران النعمة، وفعل قوم لوط، ونقص المكيال والميزان، وفي أغلب القصص يكون الإهلاك بسبب الشرك مع أحد الأسباب المذكورة، فلا يمنع تعدد الأسباب.

والغرض من القصص في القرآن الكريم هو الاعتبار بأحداثها وعاقبة أصحابها، فنقيس حالنا بحالهم، فتكون عاقبة المؤمنين والكافرين كعاقبة السالفين لهم في الأمم السابقة، والله تعالى يقول:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[يوسف:111].(2)

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج238/10).

(2) يُنظَرُ: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم (ج425/28).

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على الوعظ بقصص الأمم السابقة:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾[فصلت:15-16].

أ- القراءات:

﴿ نَحِسَاتٍ ﴾:[1]

* قَرَأَ أبو جَعْفَرٍ وَابْنُ عَامِرٍ، وعاصم، وحمزة ، والكسائي، وخلف بكسر الحاء.

* وقرأ نافع، وابن كثير، وأبوعمرو، ويعقوب بإسكان الحاء.

ب- المفردات اللغوية:

﴿ عَادٌ ﴾: "قَوْمُ هُودٍ عليه السلام."[2]

﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾: "الْمُبَالَغَةُ فِي الْكِبْرِ، أَيِ التَّعَاظُمُ وَاحْتِقَارُ النَّاسِ، فَالسِّينُ وَالتَّاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ."[3]

﴿ يَرَوْا ﴾: يعلموا،[4] أو يتفكروا.[5]

﴿ صَرْصَرًا ﴾: هي الرِيح الشَدِيدَة، أو الريح الباردة التي تهلك بشدة بردها، أو الشديدة الصوت في هبوبها من الصرير، وهذا تفسير الصاعقة التي أرسلها الله تعالى عليهم.[6]

---

(1) يُنظَرُ: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي الضباع (ج366/2)، الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: عبد العال مكرم (ص283).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج397/20).

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج256/24).

(4) يُنظَرُ: المرجع السابق (ج257/24).

(5) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج169/7).

(6) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج397/20)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج401/18).

﴿نَّحِسَاتٍ﴾: ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معناها على: متتابعات أو شداد أو ذات شر، ورجح أنها بمعنى: مشؤومات، ومن قرأ (نحْسات): أراد الشؤم نفسه.[1]

﴿ٱلْخِزْيِ﴾: الذُّلُّ.[2]

ت- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى حال قوم هود في تكبرهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم في الأرض، واستعلائهم وتفاخرهم بقوتهم، ثم يبين الله تعالى أن قوتهم مهما عظمت فقوة الله تعالى الذي خلقهم أعظم من قوتهم، وكانوا يكفرون بآيات الله تعالى، ثم يربط الله تعالى بين هاتين الرذيلتين، وهما الاستكبار والكفر، وبين العذاب الذي حل بهم، حيث رتب العذاب الذي حل بهم على استكبارهم وجحودهم بآيات الله تعالى، فأرسل الله تعالى عليهم ريحا شديدة الهبوب وشديدة الصوت وشديدة البرد في أيام مشؤومات، لتكون لهم خزيا في الدنيا، وما عند الله تعالى لهم في الآخرة أشد وأخزى.

وقد زاد الله تعالى من تشنيعهم عندما وصف استكبارهم بأنه بغير حق، فالاستكبار لا يكون إلا بغير حق مهما كانت أسباب القوة والغرور،[3] فقوم هود اغتروا بقوتهم وشدتهم وعظم أجسامهم فسألوا على سبيل التقرير أن لا أحد أشد منهم قوة،[4] فأتاهم العذاب من جنس ما اغتروا به من القوة بالريح الشديدة،[5] بل إن الله تعالى أهلكهم بشيء ضعيف لا يتوقع الناس أن تُجعل فيه من القوة ما تهلكهم وتدمرهم ليدل ذلك على عظمة الله القوي العزيز.

وقد جعل الله تعالى عذابهم خزيا شديدا، "وَأَيُّ خِزْيٍ أَشَدُّ مِنْ أَنْ تَتَرَامَاهُمُ الرِّيحُ فِي الْجَوِّ كَالرِّيشِ، وَأَنْ تُلْقِيَهُمْ هَلْكَى عَلَى التُّرَابِ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ فَيُشَاهِدُهُمُ الْمَارُّونَ بِدِيَارِهِمْ جُثَثًا صَرْعَى قَد تَقَلَّصَتْ جُلُودُهُمْ وَبَلِيَتْ أَجْسَامُهُمْ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ."[6]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج20/399-401).

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (261/24).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (256/24).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج5/8).

(5) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج7/169)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص746).

(6) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (258/24).

ث- لطيفة في قول الله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾:

دلت العبارة على مبالغتين: الأولى: من خلال إضافة الموصوف إلى الصفة، فالخزي صفة للعذاب، فجعل الخزي (الصفة) بمنزلة شيء آخر مضافا للعذاب(الموصوف)، والثانية: الوصف بالمصدر، حيث وصف الله تعالى العذاب بالخزي، أي أن ذلك العذاب كان مخزيا لهم، وذلك يفيد المبالغة.[1]

ففي هذه الآيات ينفر الله تعالى من الاستكبار لأن "تكبرهم هُوَ الَّذي صَرَفَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِهِمْ وَعَنْ تَوَقُّعِ عِقَابِ اللَّهِ تعالى."[2] وتعقيب العذاب الذي حل بهم بصفة الاستكبار هي دعوة من الله تعالى للنُّفرة عن هذه الصفة الذميمة، وهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين بالله تعالى، فهم قد جمعوا بين الكفر والاستكبار.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾[الشعراء:176-189].

أ- المفردات اللغوية:

﴿لۡـَٔيۡكَةِ﴾: "الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ، وَهِيَ وَاحِدَةُ الْأَيْكِ، وَكُلُّ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ أَيْكَةٌ."[3]

﴿أَوۡفُواْ﴾: أتموا الكيل واجعلوه تاما وافيا غير منقوص.

---

(1) يُنظَرُ: المرجع السابق (261/24).

(2) المرجع نفسه (256/24).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج632/17)، يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج241/4).

﴿ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾: الذين ينقصون الناس أموالهم ببخس المكيال والميزان، فالْمُخْسِرُ: هو الْمُنْقِصُ وهو فَاعِلُ الْخَسَارَةِ لِغَيْرِهِ.[1]

﴿بِٱلۡقِسۡطَاسِ﴾: أَعدل الموازين وأَقومُها، وهو بناء مبالغة من القسط.[2]

﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾: العادل، الذي لا يميل فلَا بَخْسَ فِيهِ عَلَى مَنْ وَزَنْتُمْ لَهُ.[3]

﴿تَبۡخَسُواْ﴾: تَنْقُصُوا.

﴿أَشۡيَآءَهُمۡ﴾: "حُقُوقَهُمْ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ،"[4] أو أنه عام في كل حق ثابت للناس.[5]

﴿مُفۡسِدِينَ﴾: الإفساد بقطع الطريق والغارة والقتل.[6]

﴿وَٱلۡجِبِلَّةَ﴾: الخلائق المتقدمين.

﴿كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قِطَعًا من السماء، وهي جمع ومفردها كِسْفَة.

﴿ٱلظُّلَّةِ﴾: سَحَابَةً ظَلَّلَتْهُمْ، فلما تجمعوا تحتها جعل الله تعالى فيه العذاب.[7]

---

(1) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج149/4)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (184/19).

(2) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج242/4)، لسان العرب، ابن منظور (ج176/6).

(3) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج634/17)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج149/4).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج634/17).

(5) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج528/24)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج149/4).

(6) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج149/4)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج160/6).

(7) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج635/17–637)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج242/4).

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى في هذه الآيات قصة شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة في دعوتهم إلى الله تعالى، حيث أمرهم بعدة أمور، فأمرهم بتقوى الله عز وجل بأسلوب المتلطف معهم ليحضهم على تقوى الله سبحانه وتعالى في الامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه فقال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، ثم بين لهم نصحه وأمانته في دعوته فقال: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾، ثم صرح لهم بالأمر بالتقوى، وأنه لا يبتغي من ذلك إلا الأجر من الله تعالى، وأنه لن يسألهم على دعوته أجرا، ثم نهاهم عن نقص حقوق الناس وكيلهم، وأن يتموا لهم حقوقهم غير منقوصة، وأمرهم أن يزنوا بالميزان القويم الذي لا ظلم فيه، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يفسدوا في الأرض بقطع الطريق والقتل وغير ذلك.

ثم ينتقل إلى بيان موقفهم من دعوة نبيهم في تكذيبه، وعدم الإيمان بما دعاهم إليه، وتعنتهم في ذلك، وتعللهم بأنه ليس بنبي وإنما هو بشر مثلهم، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ثم طلبوا منه لإثبات صدق دعوته أن يسقط عليهم قطعا من السماء، وذكر أهل التفسير أنهم ما طلبوا من شعيب عليه السلام أن يسقط عليهم قطعا من السماء إلا تعجيزا له واستبعادا في وقوع ذلك، فإن تحقق ما أرادوا من عدم حدوثه أظهروا بذلك -على حد زعمهم- كذبه،[(1)] "وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب، ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه."[(2)]

واختلف في المراد من طلبهم فقيل حتى ينظروا إليها، وقيل أنهم قصدوا العذاب،[(3)] والأرجح أنهم أرادوا العذاب ولو أرادوا أن ينظروا إلى قطع السماء النازلة لقالوا (أنزل إلينا) ولم يقولوا ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا ﴾، فدلالة لفظ الإسقاط وحرف الجر يدل على ذلك.

ثم ينتقل إلى بيان العذاب الذي حل بهم بسبب كفرهم وإفسادهم في الأرض من أكل أموال الناس بالباطل، وقطع الطريق، فكان عذابهم أن أرسل الله تعالى عليهم سحابة ظللتهم، ثم أحرقهم الله تعالى بها في يوم وصفه الله تعالى بأنه عظيم.

---

(1) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج528/24)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (187/19).

(2) الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج331/3).

(3) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج73/16).

ثم يبين الله تعالى أن في عذابهم الآية والعبرة للكافرين والمكذبين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى هو الذي أرسل هؤلاء الرسل، وهو سبحانه المنتقم لهم من أعدائهم.

ت- لطيفتان:

اللطيفة الأولى: في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾:

اختلف أهل التفسير في عدم بيان أخوة شعيب لأصحاب الأيكة فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، ولم يقل (إذ قال لهم أخوهم شعيب) على قولين: فمن قال بأن أصحاب الأيكة هم أهل مدين أي أهل شعيب عليه السلام، علل ذلك بأن الله تعالى لما نسبهم إلى عبادة الشجرة فكأنما قطع نسبة الأخوة بينهم، وإن كان أخا لهم من النسب،[1] ومن قال بأن أصحاب الأيكة هم قوم آخرون غير أهل مدين فالسبب ظاهر في أنه ليس من نسبهم، وإنما من بني مدين، ويدل على ذلك أنه لما ذكر أهل مدين وصف شعيبا بأنه أخ لهم: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[الأعراف:85].[2]

اللطيفة الثانية: في قول الله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾:

الكيل له ثلاث حالات، وهو التام والناقص والزائد، فلما أمر بالتام وهو الواجب في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ونهى عن الناقص وهو المحرم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ لم يذكر الزائد الذي يدخل في الإحسان ولا إثم عليه.[3]

وفي هذه الآيات ينفر الله تعالى من الكفر الذي هو أم الرذائل، ومن أكل أموال الناس بالباطل بإنقاص الميزان في حقوق الناس، وهما رذيلتان أراد الله تعالى التنفير منهما ببيان مصير أصحاب الأيكة والعذاب الذي حل بهم، وربط هذا العذاب بهاتين الذميمتين، فكما ذكر المفسرون "كانت معصيتهم المضافة إلى كفرهم بخس الموازين، وتَنَقُّص أموال الناس،"[4] وقال

---

(1) يُنظَرُ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج158/6).

(2) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج242/4)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (184/19).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج330/3)، مفاتيح الغيب، الرازي (ج528/24).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج242/4)، يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (184/19).

ابن كثير: "وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ ودَمَّرهم عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ."[1]
وهذا القول لا يدل على حصر سبب الهلاك في بخس المكيال والميزان، ولكنه يدل على التنفير من هذه الرذيلة بأنها كانت سببا في هلاك الأمم السابقة.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (ج347/8)، يُنظَرُ: محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد السود (ج429/9).

الفصل السابع

التنفير بأسلوب نفي المحبة والمنع من الهداية والمنع من القبول وحبوط العمل

المبحث الأول

أسلوب نفي محبة الله تعالى للفعل

المطلب الأول: المحبة لغة واصطلاحا:

1- المحبة لغة:

الحُبُّ: "تقيضُ البُغض،"[1] وهو: "الميل إِلَى الشَّيْء السار."[2]

2- المحبة اصطلاحا:

صفة المحبة صفة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته وقدرته، فالله تعالى منزه عن العيب والنقصان، فهو كما قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:11]، فمحبة الله تعالى لا تشبه محبة البشر بعضهم بعضا وما يعتريها من النقصان من الميل والشوق وغير ذلك، قال ابن الجوزي: "إن محبة اللَّه عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضا."[3]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

إن محبة الله تعالى من أرقى وأجل المقامات التي يسعى العبد المؤمن ليصل إليها، فإذا نال الإنسان محبة الله تعالى ورضوانه فقد فاز بالدرجات العالية عند الله عز وجل.

وحتى ينال الإنسان محبة الله تعالى فلابد له أن يتحرى كل ما يحبه الله تعالى فيفعله، وأن ينتهي عن كل ما لا يحبه الله تعالى من الرذائل والذنوب والمعاصي فينتهي عنه، وينفر منه، بل إن ذلك من لوازم الإيمان بالله تعالى.

فإن أرقى أنواع المحبة هي أن يحب الإنسان ما يحبه الله تعالى، وأن يكره ما يكرهه الله تعالى من الرذائل والمكروهات،[4] فلا يكفي في محبة الله تعالى أن يحب الإنسان ربه عز وجل، فإن ذلك يشترك فيه كل الناس.

---

(1) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج8/4).

(2) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج151/1).

(3) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص38)

(4) يُنظَرُ: تفسير ابن رجب الحنبلي، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق محمد (ج505/1).

ومن أدلة عدم حب الله تعالى لشيء أن يبين الله تعالى في كتابه وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا يحب فعله، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[البقرة:205]، وقال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء:148].

وكذلك فإن عدم محبة الله للفاعل تدل على عدم محبته للفعل، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:57]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف:31].

"ونفي المحبة كنايةٌ عن بغضه تعالى لهم، وسُخطِه عليهم، أي لا يرضى عنهم، ولا يثني عليهم،"[1] وهو ذم يقتضي التحريم.[2]

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على نفي محبة الله تعالى للفعل:

المثـــــال الأول: قــــال الله تعــــالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء:148].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**لَّا يُحِبُّ**﴾: أي يكره ويمقت ذلك ويسخط على فاعله.[3]

﴿**ٱلْجَهْرَ**﴾: هو الإعلان وما يبلغ إلى أسماع الناس.[4]

﴿**بِٱلسُّوٓءِ**﴾: يشمل جميع الأقوال السيئة كالشتم والقذف.[5]

ب- التفسير والبيان:

يخبر الله تعالى أنه لا يحب أن يجهر أحد بالسوء على أحد بالقول السيء من الشتم والسب والقذف والدعاء على الناس.

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج52/2)، يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني(ج383/1)
(2) يُنظَرُ: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، البسيلي، (ص284).
(3) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج247/2)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 212)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/6).
(4) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج351/3)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/6).
(5) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 212).

وعدم محبة الله تعالى له يدل على أنه لا يحل، فهو كناية عن سخطه وغضبه، فالله تعالى يبغض ذلك الفعل ويمقته، ويعاقب على فعله.[1]

وقد قيد الله تعالى ذلك بالقول دون الفعل، لأن القول هو أخف أنواع الأذى، والفعل أشد منه، فيكون السيء من الفعل أشد تحريما.[2]

وكذلك قيد الجهر بالسوء من القول دون الإسرار بالسوء من القول لأن ضرره أشد وفساده أعظم، وكلاهما محرم ولا يجوز فعله.[3]

وقد استثنى الله تعالى المظلوم من النهي عن الجهر بالسوء، فرفع الحرج عنه أن يخبر بما وقع عليه من السوء، وأن يدعو على من ظلمه بأن ينصره الله تعالى عليه، لأن الدعاء عليه إعلان بظلمه، أو أن يخبر بأن فلانا قد ظلمه بغير وجه حق، أو أن يشتكي على من ظلمه، فالشكوى على الظالم أمر مطلوب شرعا، فإن الله تعالى لا يحب لعباده المهانة والذل والسكوت عليهما.[4]

والجهر بالسوء يجب أن يكون محدودا بقدر الظلم الذي وقع على المظلوم، فلا يجوز أن يتعدى إلى القذف أو الكذب أو الافتراء على الظالم، لأن ذلك من الظلم الذي نهى الله تعالى عنه.[5]

"إن الإسلام يحمي سمعة الناس – ما لم يظلموا – فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه وكان هذا هو الاستثناء الوحيد من كف الألسنة عن كلمة السوء، وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطيق معه الظلم، وحرصه على الأخلاق الذي لا يطيق معه خدشا للحياء النفسي والاجتماعي."[6]

---

(1) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج247/2)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 212)، الموسوعة القرآنية، الأبياري (ج178/2).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/6).

(3) يُنظَرُ: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج351/3).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج632/7)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/6)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي (ج352/3).

(5) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 212)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/6)، في ظلال القرآن، سيد قطب (ج796/2).

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج796/2).

ثم يبين الله تعالى أنه سميع لجميع أقوالكم التي تقولونها ومنها قول السوء الذي نهاكم الله تعالى عنه، وعليم بالمظلوم منكم وقصدكم ونيتكم في أقوالكم، فعليكم أن تحذروا من كل ما يغضب ربكم فيعاقبكم عليه، وأن تقولوا القول الحسن الذي يرضي ربكم.(1)

فالآية تنفر من الجهر بالسوء كالشتم أو الدعاء على الناس من دون أن يكون ذلك لسبب كدفع ظلم وقع على المجاهر به، وذلك ظاهر ببيان نفي محبة الله تعالى لتلك الرذيلة.

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا**﴾[النساء:36].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**مُخۡتَالٗا**﴾: المختال هو صاحب الخيلاء، والاختيال: هو التكبر، والعجب بالنفس.

﴿**فَخُورًا**﴾: صيغة مبالغة، فهو شديد الفخر بما أنعم الله تعالى عليه من إحسانه وفضله على الناس، ثم لا يحمد الله تعالى على ذلك الفضل، أو هو الذي يعدد مناقبه ومحاسنه ويمدح نفسه تكبرا وتطاولا على غيره ممن هم دونه.(2)

ب- التفسير والبيان:

يؤكد الله تعالى أنه لا يحب من اتصف بصفتين ذميمتين لا يرضاهما الله تعالى لعباده، وهما التكبر والعجب بالنفس، والافتخار على الناس بالنعم التي ينعم الله تعالى بها، عليه ثم ذكر المناقب والمحاسن من أجل التطاول على الناس من دون أن يؤدي حق الله تعالى من الشكر والحمد على هذه النعم.

ونفي المحبة دليل على نفي رضا الله تعالى عمن اتصف بتلك الأوصاف،(3) بل وفي هذا ضرب من التوعد من الله تعالى عليه.(4)

---

(1) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص212).

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج20/7)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج375/6).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج51/5).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج317/6).

المبحث الثاني

أسلوب جعل الفعل مانعا من الهداية

المطلب الأول: الهداية لغة واصطلاحا:

1- الهداية لغة:

"الهُدَى: ضد الضَّلال،"[(1)] وهو :البَيان، والرشاد،[(2)] وأصله التقدم، فالهادية: الْمُتَقَدّمَة من كل شَيْء.[(3)]

ومن أسماء الله تعالى الحسنى الهادي، "هُوَ الَّذِي هدى خلقه إِلَى مَعْرفَته وربوبيته وَهُوَ الَّذِي هدى عباده إِلَى صراطه الْمُسْتَقيم."[(4)]

2- الهداية اصطلاحا:

الهداية: هي "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب،"[(5)] وقد اشتمل التعريف على نوعي الهداية، وهما هداية الدلالة والإرشاد، وهداية المعونة والتوفيق.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

إن أعظم وأفضل نعمة ينعم الله بها على عباده وعلى الناس جميعا هي الهداية بنوعيها – هداية الدلالة والإرشاد، وهداية المعونة والتوفيق- فالإنسان بفطرته يطلب الهداية ويتحراها، ويحذر من الضلال في جميع أموره، فهو شر يسعى الإنسان أن يتقيه.

ولأهمية الهداية فقد أمر الله تعالى بطلبها في كل صلاة، بل في ركعة من الليل أو النهار، فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة:6]، فالمسلم يدعو

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (ج370/4).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج201/6)، لسان العرب، ابن منظور (ج353/15).

(3) يُنظَرُ: مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان (ص901)، المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون(ج978/2).

(4) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، تحقيق: أحمد الدقاق (ص 64).

(5) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد السود (ص256).

ربه أن يهديه الصراط المستقيم، أي "دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به... فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد،"[(1)] ولأهمية طلب الهداية علم الله تعالى عباده سؤاله الهداية بأن يقدموا بين يدي سؤالهم الحمد والثناء على الله تعالى، ثم ذكر العبودية والتوحيد لله تعالى، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء.[(2)]

والهداية من الله تعالى وحده لقوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف:178]، ولكن الإنسان عليه أن يجتهد بالعمل والطاعات، ثم التوسل إلى الله تعالى بطلب الهداية، فلا يعقل أن يطلب الإنسان الهداية من الله تعالى، وهو يعمل المعاصي والمنكرات.

وقد قسم ابن القيم الهداية إلى أربعة أنواع:[(3)]

الأول: الهداية العامة المشتركة بين جميع الخلق، وهي تعم الإنسان والحيوان، وهي الهداية المتعلقة بجلب المنفعة ودفع المضرة والأكل والشرب والتناسل وغيره.

الثانية: هداية البيان والتعريف للخير والشر، وهذه لا تستلزم الهدى التام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[فصلت:17].

الثالثة: هداية التوفيق والمعونة والإلهام، وهذه الهداية تستلزم الهداية، وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[فاطر:8].

الرابعة: الهداية إلى الجنة أو النار.

والمتأمل في مراتب الهداية الأربع يجد أن الأولى والثانية عامة لجميع الناس كافرهم ومؤمنهم، أما الثالثة فإنها الهداية الربانية الخاصة بعباده المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص39).

(2) يُنظَرُ: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي (47/1)

(3) يُنظَرُ: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (ج35/2).

﴿زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾[محمد:17]، وهي التي ينفيها الله تعالى عن المشركين والمنافقين والظالمين، فحرمهم منها.

قال الكفوي: "وكل هِدَايَة ذكر الله تَعَالَى أَنه منع الظَّالِمين والكافرين مِنْهَا فَهِيَ الْهِدَايَة الثَّالِثَة الَّتِي هِيَ التَّوْفِيق الَّذِي يخْتَص بالمهتدين، وَالرَّابِعَة الَّتِي هِيَ الثَّوَاب فِي الْآخِرَة وَإِدْخَال الْجنَّة."[1]

فمن حرص على الهدى فعليه أن يجتنب ما نفر الله تعالى من فعله، فبين أن فاعله لا يستحق الهداية من الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:258]، وقال تعالى:﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:264]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[يوسف:52].

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل مانعا من الهداية:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [النساء:168-169].

أ- المفردات اللغوية:

﴿**كَفَرُواْ**﴾: كفروا بالله وجحدوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.[2]

﴿**وَظَلَمُواْ**﴾: ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتمان نبوته وإنكارها، أو أنهم ظالمون للناس بكتمان الحق عنهم، وبصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم، وبإلقاء الشبهة في قلوبهم،[3] أو أنهم ظالمون لأنفسهم بالكفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم،[4] أو أنهم ظالمون

---

(1) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي،تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص955)

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج7/696).

(3) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج7/228)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج2/110)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج1/451).

(4) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج7/228)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج6/47).

بعمل أعمال الكفر والإقامة عليها والاستغراق فيها،[1] أو أن المقصود بالظلم هو الشرك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان:13]، فيكون من قبيل عطف الخاص على العام، أو أنهم ظالمون للمسلمين بالاعتداء عليهم وعلى أموالهم.[2]

ب- التفسير والبيان:

يبين الله تعالى أن اليهود الذين كفروا بالله عز وجل، وجحدوا رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فظلموا النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار نبوته التي يعلمونها عندهم في التوراة، وظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل وبرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم ظلموا الناس بكتمان الحق عنهم وبصدهم عن دين الله تعالى، ثم تمادوا في كفرهم وصدهم عن دين الله عز وجل أنه لن يعفو عن ذنوبهم، وسيعاقبهم عليها.

ووعيد الله تعالى لهم بعدم المغفرة متعلق ببقائهم على الكفر، أي ما داموا عليه، ثم ماتوا عليه ولم يتوبوا منه، فهذا تحذير من الله تعالى للكافرين من البقاء على الكفر والظلم، ولكنهم إن تابوا ودخلوا في دين الإسلام فسوف يغفر الله تعالى لهم.[3]

أو أن الله تعالى قال ذلك في قوم قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا وسيموتون على الكفر.[4]

ثم يبين الله تعالى أنه لن يهديهم في الدنيا إلى الإسلام وإلى الآيات الدالة عليه سبحانه وتعالى، ولكنه سيهديهم إلى طريق الكفر، فيكفرون بالله تعالى فيدخلون في جهنم،[5] أو لا يهديهم الله تعالى يوم القيامة إلى طريق إلا الطريق الذي يوصلهم النار.[6]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج696/7)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 215).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج47/6).

(3) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج228/7)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج417/1)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج47/6).

(4) يُنظَرُ: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج423/3)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج418/1).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج696/7).

(6) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج51/2).

ونفي الهداية " إِنْذَارٌ بِأَنَّ الْكُفْرَ وَالظُّلْمَ مِنْ شَأْنِهِمَا أَنْ يُخَيِّمَا عَلَى الْقَلْبِ بِغِشَاوَةٍ تَمْنَعُهُ مِنْ وُصُولِ الْهُدَى إِلَيْهِ، لِيُحَذِّرَ الْمُتَلَبِّسَ بِالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ مِنَ التَّوَغُّلِ فِيهِمَا، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُصْبِحَ وَلَا مُخَلِّصَ لَهُ مِنْهُمَا."(1)

"وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا".(2)

ت- لطيفة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾:

أفاد الاستثناء بهداية الكافر إلى طريق جهنم التهكم بالكفار لأن الهَدْيَ هو إرشاد الضال إلى المكان المحبوب وليس كذلك الهدي إلى جهنم.(3)

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر:3].

أ- المفردات اللغوية:

﴿كَاذِبٌ﴾: هو الراسخ في الكذب،(4) وهو الذي يفتري على الله تعالى الأكاذيب الباطلة، فينسب له الولد -سبحانه وتعالى عما يقولون-(5)، أو وصفهم للأصنام بالآلهة التي تستحق العبادة مع علمهم بأن ما يقولونه إنما هو محض كذب وافتراء على الله تعالى، وأنها مجرد جمادات صنعوها بأيديهم وأنها لا تنفع ولا تضر، ثم يدعون أنها تقربهم إلى الله تعالى.(6)

﴿كَفَّارٌ ﴾: صيغة مبالغة تدل على شدة كفرهم، وإما أن يكون المقصود به كفران النعمة، لأن الذي يعبد الأصنام فإنه يقر لها بالتعظيم، والعبادة والتعظيم لا ينبغي أن تكون إلا للمنعم

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج48/6).

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 215).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج48/6).

(4) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج241/7).

(5) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج158/20).

(6) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج422/26)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج471/16).

سبحانه وتعالى، فمن عبد الأصنام فقد كفر نعمة الله تعالى، أو أن يكون المقصود به الكفر بالله تعالى وعبادة الأصنام من دون الله تعالى، وإشراكها مع الله تعالى في العبادة.[1]

ب-التفسير والبيان:

يبين الله تعالى أنه لا يهدي إلى الحق وإلى دين الإسلام كل من يفتري الكذب على الله تعالى، فينسب لله تعالى الولد، أو يدعي صفات الألوهية للأصنام، فيكفر بالله تعالى، ويتخذها آلهة من دونه سبحانه وتعالى.

ونفيُ الله تعالى الهدايةَ يكون بعدم توفيق الله تعالى للمشركين للاهتداء إلى الحق،[2] فالتوفيق سبب للهداية، فعبر الله تعالى بنفي المُسَبَّب -الهداية- وأراد نفي السبب-التوفيق- أي أن الله تعالى ينفي عنهم عنايته التي تيسر لهم الهداية، فلا يعينهم بل يتركهم لاجتهاد رأيهم، فالله تعالى عندما يرسل رسوله للناس فإنهم يكونون بمستوى واحد عند الله تعالى، ثم يتمايز الناس، فمن طلب الهداية أعانه الله تعالى، وشرح صدره للخير، ومن عاند وكذب وكفر بالله تعالى ازداد غضب الله تعالى عليه، فيزداد بُعد الهداية الإلهية عنه.[3]

أو أن نفي الهداية خاص فيمن قضى الله تعالى وعلم أنه لا يؤمن أبدا، وأنه سيختار الكفر، فيكون اللفظ عاما في نفي الهداية ولكن معناه الخصوص.[4]

أو أن نفي الهداية بنفي توفيق الله تعالى وعونه للمشرك وقت اختياره للكفر، ويهديه وقت اختياره للإيمان.[5]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج158/20)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري (ج79/12)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض(ج471/16)

(2) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج158/20)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج241/7).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج323/23-324).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج518/4)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج234/15)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج169/3).

(5) يُنظَرُ: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج655/8)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج169/3).

أو أن يكون نفي الهداية خاص بمن أصر على الكذب والكفر، فمن أصر على الكذب والكفر فإن الله تعالى يحرمه الهداية.[1]

والعلة في حرمان الكاذب المبالغ في الكفر من الهداية لأنه تمرن في الظلم وأقام في الضلالة وتمادى فيها فغير فطرة الله تعالى. [2]

ت-لطيفة في قوله تعالى: ﴿كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾:

مقارنة صفة الكذب بالمبالغة في الكفر تدل على أنهم مبالغون في الكذب أيضا، لأنهم كذبوا على الله تعالى في كفرهم وشركهم بالله تعالى بوصفهم آلهتهم بأوصاف الألوهية، فدل ذلك على أن المبالغة في الكفر يلزمها المبالغة في الكذب.[3]

ونفي الهداية عمن اتصف بهاتين الصفتين وهما الكذب والكفر هو تنفير من الله تعالى من الاتصاف بهما، فمن أراد الهداية من الله تعالى فعليه ألا يتخلق بهذه الصفات الذميمة.

---

(1) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج422/26)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج471/16).

(2) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص 719)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري (ج79/12).

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج323/23).

المبحث الثالث

أسلوب جعل الفعل مانعا للقبول

المطلب الأول: القبول لغة واصطلاحا:

1- القبول لغة:

"الرِّضَا بالشَّيْء وميل النَّفس إِلَيْهِ."(1)

2- القبول اصطلاحا:

"هُوَ عبارَة عَن ترَتّب الْمَقْصُود على الطَّاعَة،"(2) وقبول الأعمال يكون بحصول الثواب عند الله تعالى الذي هو الغاية من كل عمل.

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

لقد حرص السلف والخلف على قبول أعمالهم عند الله تعالى، فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[المؤمنون:60]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لاَ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[المؤمنون:61])، (3) وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرددان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:127].

والله تعالى لا يقبل إلا من المتقين لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة:27]، وهذا يدل بمفهوم المخالفة أن الله تعالى لا يتقبل عمل غير المتقين، الذين لا يبتغون بأعمالهم وجه الله تعالى.

وقبول الأعمال فضل من الله تعالى وحده، فالمسلم لا يعلم ما قَبِله الله تعالى، وما لم يقبله من أعماله الصالحة، وما ردَّ الله تعالى منها، لكن عليه أن يعلم أسباب عدم قبول الأعمال

---

(1) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج713/2).

(2)الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري(ص732)

(3) سنن الترمذي: الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ/ باب ومن سورة المؤمنون، تحقيق: بشار معروف، ج180/5: رقم الحديث 3175، وقال الألباني: حديث صحيح، [صحيح سنن الترمذي، الألباني (ج287/3)].

وردها فيحذرها ويجتنب الوقوع فيها، ولذلك فقد نفرنا الله تعالى منها، فبين لنا أن الكفر لا يقبل معه نفقة في سبيل الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[التوبة: 54]، وأن أي دين غير دين الإسلام فلن يقبل الله تعالى معه عملا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:85].

وقد بينت الأحاديث أن كل عمل ليس على هدي الإسلام فلن يقبله الله تعالى لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)،[1] وكذلك إتيان العرافين لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.)[2]

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل مانعا للقبول:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[التوبة:53-54].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ **كَرْهًا** ﴾: "الكره أشد الإلزام."[3]

﴿**فَٰسِقِينَ** ﴾: الفسق: هو الخروج عن الإيمان بالله تعالى، والكفر به سبحانه وتعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم[4] لقول الله تعالى في الآية التي بعده ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾، فدل ذلك على أن المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله

(1) صحيح مسلم: مسلم، كتاب الأقضية/بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، ج1343/3: رقم الحديث 1718.

(2) صحيح مسلم: مسلم، كتاب السَّلَامِ/بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، ج1751/4: رقم الحديث 2230.

(3) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج226/10).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج498/11).

تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم،[1] "وإنما اختير وصف الفاسقين دون الكافرين لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فكانوا كالمائلين عن الإسلام إلى الكفر."[2]

وقيل إن الفسق هو التمرد والعتو،[3] وقيل إنه الخروج عن الطاعة.[4]

ب- التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين: إنهم سواء عليهم أنفقوا أموالهم في سبيل الله تعالى طائعين من أنفسهم من غير إلزام أم مكرهين على ذلك الإنفاق فلن يتقبل الله تعالى منهم تلك النفقات.

وقد جاء الخطاب هنا بصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ﴾ وهو بمعنى الخبر، أي أن الله تعالى لن يتقبل منكم نفقاتكم،[5] ويصح ذلك في الأماكن التي يحسن فيها (إن) التي تأتي بمعنى الشرط والجزاء، أي: إن تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم، نحو قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾[التوبة:80].[6]

وقد أفاد الأمر بالإنفاق التسوية بين الإنفاق وعدم الإنفاق في عدم القبول، أي: أنفقوا أو لا تنفقوا، وكأن الله تعالى أمرهم بأن أنفقوا على الحالين ثم انظروا فلن تجدوا إلا عدم القبول.[7]

---

(1) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج239/10)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج370/2).

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج226/10).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج276/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج686/1)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج74/4).

(4) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص340).

(5) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج84/3)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج686/1).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج498/11-499)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج44/3).

(7) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج276/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج74/4)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج226/10).

ت- لطيفة: في قول الله تعالى: ﴿ كَرْهًا ﴾:

سمى الله تعالى الإلزام إكراها لأن إلزام المنافقين بالإنفاق شاق عليهم فهو عليهم كالإكراه.[1]

وقد كان المنافقون يطلبون إنفاق المال في الجهاد في سبيل الله تعالى، ظنا منهم أن ذلك يرضي النبي صلى الله عليه وسلم عن قعودهم عن الجهاد، وأن هذا الإنفاق سوف ينفعهم عند الله تعالى يوم القيامة –إن صدق النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من شكهم في دعوة الإسلام– فجاء القرآن ليبأسهم من الانتفاع بهذه الأموال بعدم قبولها عند الله تعالى.[2]

ونفي القبول إما بمعنى عدم أخذ هذه الأموال منهم، أو عدم حصول الثواب والقبول من الله تعالى على ما أنفقوه.[3]

ثم يعلل الله تبارك وتعالى عدم قبول نفقاتهم بأمور ثلاثة:[4]

أولها: الفسق،[5] والمراد به الكفر على ما سبق بيانه، والإيمان شرط لقبول الأعمال فلا يقبل الله تعالى من كافر عملا.[6]

ثانيها: أنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، مُتَثَاقِلِينَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ الثواب على أدائها وَلَا يَخَافُونَ العقاب على تركها، وَإِنَّمَا يُقِيمُونَهَا مَخَافَةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا أمنوا لم يؤدوها، فلا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.[7]

---

(1) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج276/2)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج686/1).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج225/10-226).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج276/2)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج114/10)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود (ج74/4).

(4) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض(ج114/10)

(5) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج84/3).

(6) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص340).

(7) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج498/11)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص340).

ثالثها: أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا وهم كارهون، فهم لا ينفقونه لوجه الله تعالى طمعا في ثوابه، ولا خوفا من عقابه، ولا محبة للمؤمنين ولا عونا لهم، بل كانوا يعدون الإنفاق في سبيل الله مغرما، ومنعها مغنما، فلم يستفيدوا من الإنفاق إلا نقصان مالهم، فهم يكرهون ذلك.[1]

ث- لطيفة في قول الله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾:

ذكر الله تعالى سببين في المنع من القبول إضافة إلى الكفر بالله تعالى، وهما: الكسل عند إتيان للصلاة، وكره الإنفاق في سبيل الله تعالى، ومعلوم أن الكفر سبب مستقل لوحده في المنع من القبول وغيره من الأسباب إنما هي مُعرِّفات، واجتماع المُعرِّفات على الشيء الواحد جائز،[2] وهي للدلالة إلى تمكن الكفر من قلوبهم ولذم نفاقهم.[3]

وفي ذلك تنفير من الله تعالى من الاتصاف بهذه الصفات بعدم قبول الأعمال الصالحة وذهابها سدى بدون الأجر والثواب من الله تعالى.

وقد ذكر العلماء أن هذه الآية عامة في كل من تكون هذه صفته في الإنفاق لغير وجه الله تعالى.[4]

---

(1) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج44/3)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج239/10)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج85/3).

(2) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض(ج115/10)

(3) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج227/10).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج44/3)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج370/2).

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[آل عمران: 90-91].

أ- المفردات اللغوية:

﴿مِّلۡءُ﴾: "مِقْدَارُ مَا يَمْلَأُ الشَّيْءَ،"[1] وهي كناية عن الكثرة التي يتعذر حصولها، فالأرض لا يملؤها شيء مما في أيديهم.[2]

﴿ٱفۡتَدَىٰ﴾: "الْفِدْيَة: الْعِوَضُ وَالْجَزَاءُ مِنَ الْمُفْتَدَى مِنْهُ."[3]

ب- التفسير والبيان:

اختلف المفسرون في بيان المراد من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا ﴾، فقد رجح الطبري أنهم هم اليهود، فهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، بما عرفوه عندهم من صفاته، ثم كفروا به بعد مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بما ارتكبوه من الذنوب والمعاصي وإقامتهم وإصرارهم على ما هم فيه من الكفر والضلالة، وعداوة المؤمنين وفتنتهم، ونقض المواثيق.[4] "وعليه فالموصول بمعنى لام العهد."[5]

وقيل نزلت في جماعة من المرتدين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، ثم ازداد كفرهم بتربصهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وبيتوا إظهار التوبة للرسول صلى الله عليه وسلم في حال رجوعهم للمسلمين.[6]

---

(1) فتح القدير، الشوكاني (ج411/1).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج306/3).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج570/5).

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج567/5)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج393/1)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي(ج27/2).

(5) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج304/3).

(6) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج393/1)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج27/2)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج56/2).

ويشترك هذان القولان في أن اليهود والمرتدين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوه، ثم كفروا به، ثم ازدادوا كفرا.

وقيل بأنهم اليهود والنصارى،[1] "فالنصارى آمَنُوا بِعِيسَى عليه السلام، ثُمَّ كَفَرُوا فَعَبَدُوهُ وَأَلَّهُوهُ، ثمَّ ازدادوا كفراً بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[2]

وقيل هم اليهود آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.[3] وهذا الرأي مرجوح، لأن الآية على هذا التأويل تخلط بين الأسلاف والمخاطبين، لأن الذين كفروا بعيسى عليه السلام بعد أن آمنوا بموسى عليه السلام ليسوا هم الذين كفروا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.[4]

ثم اختلف أهل التأويل في بيان عدم قبول توبة الكافر، حيث جاءت الآيات تدلل على قبول توبة المرتد والكافر حتى لو كفر ثم تاب ثم ازداد كفره لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[الشورى:25]، فكان لابد من تأويل هذه الآية، فحمل العلماء هذه الآية على تخصيص يصح به نفي قبول التوبة.[5]

فذكر الطبري أنه لن تقبل توبتهم من ذنوبهم ما داموا مقيمين على الكفر، فإن رجعوا عن كفرهم وتابوا منه فإن الله تعالى يقبل توبتهم من ذنوبهم، فالله تعالى لا يقبل توبة عن ذنب من كافر.[6]

وقد جعلها الزمخشري خاصة في من مات على الكفر غير تائب منه، لأن الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر،[7] وقد رجح ذلك الشوكاني بعد أن ذكر اختلافات

---

(1) يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج197/5).

(2) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج304/3).

(3) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج393/1)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج469/1).

(4) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج469/1).

(5) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج469/1)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي (ج197/5)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج304/3).

(6) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج567/5).

(7) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج393/1).

العلماء في تأويل هذه الآية،[1] وعليه تكون الآية المذكورة بعد هذه الآية وهي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾في حكم البيان والتوكيد اللفظي بالمرادف.[2]

وذكر ابن عطية أن عدم قبول توبة الكافر إنما هو خاص في وقت الغرغرة والحشرجة،[3] ويؤيده قول الله تعالى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾[النساء:18]، ولحديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (إن الله يَقْبَل توبةَ العبد ما لم يغرْغِرْ.)[4]

وذكر أبو السعود أن الله لا يقبل توبة المرتدين لأنهم منافقون، فهم غير صادقين في التوبة لأنهم يتوبون ثم يعودون للردة.[5]

وذكر السعدي أن المقصود من عدم قبول التوبة أنهم لا يوفقون إلى توبة مقبولة، يقبلها الله تعالى منهم لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان وتمادوا في طغيانهم، كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[الصف:5]، فقُطعت عنهم أسباب الرحمة وسَدوا على أنفسهم باب التوبة.[6]

ثم أخبر الله تعالى بأن من اتصف بهذه الصفات هم الضالون الذين ضلوا سبيل الحق، وقد حصر الله تعالى الضلال في هذا الصنف للمبالغة في ضلالهم.[7]

ثم يبين الله تعالى أن الذين كفروا بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وماتوا على ذلك الكفر قبل أن يتوبوا منه، فلن يقبل الله تعالى منهم في الآخرة فدية، ليعفو عنهم، أو يخفف من عقابهم، ولو افتدى بملء الأرض ذهبا، بل إن لهم العذاب الأليم عند الله تعالى، ولن يجدوا الناصر المعين أو الصديق الحميم الذي ينجيهم من عذاب الله تعالى، أو يشفع لهم عنده

---

(1) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج411/1).

(2) يُنظَرُ: فتح القدير، الشوكاني (ج411/1)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج304/3).

(3) يُنظَرُ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج469/1).

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شاكر، ج400/5: رقم الحديث6160.

(5) يُنظَرُ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (ج56/2).

(6) يُنظَرُ: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق (ص137).

(7) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج304/3).

سبحانه وتعالى، "والمراد بالاسم الموصول هنا العموم مثل المعرف بلام الاستغراق."[1] فيشمل الحكم كل كافر.

ت- لطيفة: في قول الله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ﴾:

أفادت الفاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ ﴾ أن الموت على الكفر هو سبب عدم قبول الفدية، وأن الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يعامل معاملة اسم الشرط، وأفاد ترك الفاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾، أن الكلام لا يفيد التسبيب في عدم قبول التوبة،[2] وهذا ما جعل المفسرين يتأولون معنى هذه الآية لأن الله تعالى يقبل توبة الكافر إن صحت التوبة منه.

نفرت الآيات من الكفر والنفاق بعد ما بين الله تعالى فيها أنه لا يقبل للكافر توبة من ذنب، حتى إذا مات على كفره فلن يقبل الله له توبة من كفره، أو على تأويل أن الله تعالى لا يقبل توبة المنافقين الذين يظهرون التوبة وهم غير صادقين فيها، أو على تأويل أن الله تعالى لا يوفق الكافرين إلى توبة مقبولة، وهذا من نقمة الله تعالى على الكافرين، فلذلك نفر الله تعالى من الكفر في كتابه العزيز.

---

(1) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج305/3).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج394/1)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج273/1)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج305/3).

المبحث الرابع

أسلوب جعل الفعل محبطا للعمل

المطلب الأول: الحبوط لغة واصطلاحا:

1- الحبوط لغة:

"حَبَطَ عمله حَبْطًا، وحبوطا: بَطل، حَبِطَت الدَّابَّة حَبَطًا: انتفخ بَطنهَا من كَثْرَة الْأكل أَو من أكل مَا لَا يُوَافقهَا،"[1] "وحَبْطُ العَمَل وبُطْلاَنُه مأخوذ من حبَط البَطْن: لِأَن صَاحب الحَبط يَهْلِك وَكَذَلِكَ عَمَل المُنافق والمُشْرِك يَحْبط،"[2] ويحبط العمل إذا عَمِل الرجلُ عملا ثمَّ أفْسدهُ وأبطله، بِإِتْبَاعِه عملا يبطله.[3]

2- الحبوط اصطلاحا:

حبوط الأعمال: بطلانها وذهاب ثوابها، وبطلان الأجر عليه في الدنيا والآخرة.[4]

المطلب الثاني: بين يدي التطبيق:

يقوم المسلم بالأعمال الصالحة ويتقرب بها إلى الله تعالى رجاء أن يتقبلها الله تعالى منه، ويثيبه عليها خير الجزاء يوم القيامة، وأن يُعظم الله تعالى له في حسناته.

ويَحذر المسلم من كل عمل يُبطل عمله ويمحوه، فيُذهب عنه الأجر والثواب يوم القيامة، فإن من أكبر المصائب أن يجتهد الإنسان في الطاعات والعبادات لله تعالى، ثم يأتي يوم القيامة ولا يجد لأعماله الصالحة ثوابا ولا أثرا عند الله تعالى.

لذلك فقد حذرنا الله تعالى ونفرنا من الرذائل بأن بين لنا ما يُبطل الأجور منها؛ لأن العاقل يجتنب كل ما فيه هلاكه وضياعه في الدنيا والآخرة.

ومن هذه الأفعال المحبطة للأعمال الإشراك بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:88]، ومنها

---

(1) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون (ج152/1).

(2) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج230/4).

(3) يُنظَرُ: تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب (ج228/4)، أساس البلاغة، الزمخشري، محمد السود (ج165/1)، المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون(ج152/1)،

(4) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج666/3).

مشاقفة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾[محمد:32]، ومنها كراهة شيء من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾[محمد:9]، ومنها الردة، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:217].

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية على جعل الفعل محبطا للعمل:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر:65].

أ- المفردات اللغوية:

﴿ **أُوحِيَ** ﴾: الوحي: الإِعلَامُ مِنَ اللَّهِ تعالى بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ.

﴿ **ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ** ﴾: الأنبياء والمرسلون.

﴿ **لَيَحۡبَطَنَّ** ﴾: حبوط العمل: بطلانه، فلا يستحق عليه ثوابا ولا جزاء.

﴿ **عَمَلُكَ** ﴾: هو العمل الصالح الذي يبتغي به فاعله الأجر والثواب من الله تعالى.

﴿ **ٱلۡخَٰسِرِينَ** ﴾: الهالكين.[1]

ب- التفسير والبيان:

ولقد أوحى الله تعالى إليك يا محمد كما أوحى إلى الذين من قبلك مثل الذي أوحى به إليك: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾، وقيل إن في الآية تقديما وتأخيرا ، أي ولقد

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج244/20)، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج58/24).

أُوحي إليك يا محمد ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾، وأوحي إلى الذين من قبلك من الرسل مثل الذي أوحي به إليك.(1)

أو أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته، لأن الله تعالى يعلم في علمه الأزلي أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لم ولن يشرك بالله تعالى شيئا، لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك، والكلام خرج مخرج الفرض.(2)

والمراد من الآية اقناط الكفار من صلاح عملهم وقبوله عند الله تعالى، والتهديد لغير الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم قبول أي عمل يعملونه بعد الشرك.(3)

فدل هذا على أن الخطاب ليس خاصا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من قبيل التعريض بغير النبي صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى قادر على إحباط عمل نبيه صلى الله عليه وسلم، وجميع النبيين من قبله، أصحاب المنزلة العلية والرفيعة عند الله تعالى، وإحباط عمل غيرهم أهون عند الله تعالى.

وفي ذلك دلالة على خطر الشرك بالله تعالى، لأن الله تعالى جعله سببا في محو جميع آثار الأعمال الصالحة.(4)

ثم بين الله تعالى أن عاقبة حبوط العمل هو الخسران والهلاك والعياذ بالله تعالى.

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج244/20)، الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج138/4)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد (ج540/4).

(2) يُنظَرُ: الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج138/4)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج48/5).

(3) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج48/5)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين (ج63/4).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج58/24–59).

المثال الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:217].

أ- المفردات اللغوية:

﴿يَرْتَدِدْ﴾: الردة هي الرجعة، أي ومن يرجع من المسلمين عن دين الإسلام إلى الكفر، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[الكهف:64].[1]

﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾: أي: فيمت على الردة، قبل أن يتوب من كفره. [2]

﴿حَبِطَتْ﴾: "بَطَلَتْ وَذَهَبَتْ، وَبطُولهَا: ذَهَابُ ثَوَابِهَا، وَبطُول الْأَجْرِ عَلَيْهَا وَالْجَزَاءُ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،"[3] أما العمل نفسه فلا يبطل لأن العمل انتهى وزال، وإعدام المعدوم محال.[4]

ب- التفسير والبيان:

يحذر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين من الارتداد عن دين الإسلام، إلى أي دين آخر، وينفرهم من ذلك أشد تنفير، ليثبتوا على دين الإسلام.

والردة عند جمهور المسلمين هي الخروج من عقيدة الإسلام إما بالإقرار نصا على الخروج من الإسلام، أو ضمنا بأن يفعل فعلا أو يقول قولا قد نص القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو إجماع المسلمين على أنه لا يصدر إلا عن كافر كالسجود للصنم، وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

فالردة لقب شرعي للخروج من دين الإسلام إلى أي دين آخر، ويشمل ذلك كل الأديان غير دين الإسلام، حتى ولو كان ذلك الدين دينا للمرتد قبل دخوله في الإسلام، وقد دل على ذلك أن الله تعالى لم يذكر الدين الجديد للمرتد.[5]

---

(1) يُنظَرُ: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج666/3)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج181/1).

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج666/3).الكشاف، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد (ج271/1).

(3) المرجع السابق.

(4) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج393/6).

(5) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج336/2،332).

وقد بين الله تعالى أن من يشرك به سبحانه وتعالى بعد أن كان مسلما فإنه يُحبط بذلك جميع أعماله الصالحة التي عملها، فينسفها الله تعالى نسفا، ويجعلها كالهباء المنثور، فلا يستحق المرتد على أعماله الصالحة التي عملها حال إسلامه ثوابا ولا جزاء من الله تعالى.

وسُمي حبوط العمل بذلك لأن الأعمال الصالحة تفسد كما يفسد الشيء بسبب ورود المُفسد عليه،[1] وفيها تشبيه لحال الذي يعمل الأعمال الصالحة للأجر والثواب ثم لا يجد لها أثرا في الآخرة بالماشية التي أكلت حتى أصابها الحبط فهلكت وماتت.[2]

وقد ذكر الله تعالى الأعمال وأطلقها وأراد الأعمال الصالحة التي يُتقرب بها إلى الله تعالى ويُرجى منه الثواب عليها.[3]

ولم تأت الأعمال التي حذر الله تعالى من حبوطها مقيدة بالأعمال الصالحة قط، وذلك لأنها واردة في مقام التحذير.[4]

وحبوط العمل بالكفر وليس بالموت، فالموت ليس من أسباب حبوط العمل، لأن الموت ليس من أفعال العباد، ولكن الموت على الكفر هو من تمام حبوط الأعمال وبطلانه، فالمرتد إن لم يمت فإنه ترجى له المنفعة بحسناته إن تاب وأحسن عملا لله تعالى.[5]

وقد ذكر الله تعالى في غير موضع أن حبوط الأعمال غير متعلق بالموت، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[المائدة:5]، وقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾[الأعراف:147]، وقوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾[التوبة:17].

---

(1) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج393/6).

(2) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج332/2).

(3) يُنظَرُ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي (ج137/1).

(4) يُنظَرُ: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور (ج332/2).

(5) يُنظَرُ: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم (ج114/2).

وقد اشترط الله تعالى الموت على الردة في هذه الآية لا لحبوط العمل فحسب، بل لأنه سبحانه وتعالى جعل الخلود في النار جزاء لمن مات على الكفر، وجعل حبوط العمل جزاء لمن أشرك بالله تعالى بعد إسلامه.[1]

ثم بين الله تعالى بأن حبوط أعمال المرتدين يكون في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا بأن تضيع على المرتد ثمرات الإسلام وخصائص المسلمين،[2] فيُقاتل المرتد ويُقتل عند الظفر به، ويُحرم من الميراث من المسلمين، وتبين زوجته منه، ولا تجوز موالاته ولا مناصرته،[3] وقيل إن الله تعالى يبطل أعمال المرتدين في سعيهم للإضرار بالمسلمين والمكر بهم ومحاربتهم[4]، وحبوط أعمالهم في الآخرة ببطلان ثوابهم على الأعمال الصالحة.[5]

ثم يبين الله تعالى مصير المرتد الذي مات على كفره بأنه من أصحاب النار وأهلها المخلدين فيها، "وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ أَهْلَهَا لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَهُمْ سُكَّانُهَا الْمُقِيمُونَ فِيهَا."[6] و﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

---

(1) يُنظَرُ: أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: محمد عطا (ج208/1).

(2) يُنظَرُ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج181/1).

(3) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج393/6)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: محمد شاهين(ج147/1).

(4) يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض (ج21/4)، مفاتيح الغيب، الرازي (ج393/6).

(5) يُنظَرُ: مفاتيح الغيب، الرازي (ج393/6)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي (ج181/1).

(6) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي (ج666/3).

الخاتمة

وتشمل:

1- **أهم النتائج.**

2- **أهم التوصيات.**

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم، أما بعد:

فنحمدُ الله تعالى كثيرا على إتمام هذا البحث، فما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى وحده، فهو الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل، وما كان فيه من خطأ أو سهو فهو من نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يلهمني الرشد والصواب.

وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها الباحث:

أولا: أهم النتائج:

1- تنوع أساليب القرآن الكريم في التنفير من الرذائل، حيث اشتمل البحث على خمسة وعشرين أسلوبا، دلت على ذلك التنوع، حيث أنها غير محصورة في تلك الأساليب.

2- اشتمل البحث على خمس وأربعين رذيلة نفر الله تعالى منها في القرآن الكريم.

3- اجتماع أكثر من أسلوب في التنفير من بعض الرذائل كما في الخمر مثلا، وذلك للدلالة على شدة التنفير منها لشدة قبحها.

4- الرذائل التي نفر الله تعالى منها تشمل الجانبين العقدي كالتنفير من الشرك بالله تعالى، والسلوكي كالتنفير من الغيبة.

5- القرآن الكريم له أسلوبه وطريقته التي انفرد بها في تأليف الكلام، واختيار الألفاظ.

6- نفر الله تعالى من الرذائل بالأمر باجتنابها، والنهي عن القرب منها للمبالغة في النهي عنها.

7- نسبة الرذائل وفاعلها إلى الشيطان وأفعاله وخطواته، فيه تنفير شديد من فعل تلك الرذائل.

8- نفر الله تعالى من الرذائل بذمها بألفاظ الذم، ووصفها بالرجس، ولعن فاعلها، أو ترتيب الخسران والخيبة والحرمان من الفلاح لمقترفها.

9- ومن أساليب التنفير من الرذائل تشبيه فعلها بصور تنفر منها النفوس، وتأثيم فاعلها، وتحريم الفعل، والنهي الصريح عن فعل الرذيلة بصيغة (لا تفعل) والنهي بمادة نهى.

10- نفر الله تعالى من الرذائل ببيان العلة من النهي عنها، وترتيب العقوبة الدنيوية عليها بإقامة الحد على فاعلها، وكذلك العقوبة الأخروية.

11- نفر الله تعالى من الرذائل ببيان مقته تعالى للفعل أو الفاعل، وبيان عداوة الله تعالى ومحاربته للفاعل، والتهيديد بالاستبدال للفاعل، والوعظ بقصص الأمم السابقة بعد بيان الرذائل التي استحقوا بها الهلاك.

12- نفر الله تعالى من الرذائل بنفي المحبة عنها وعن فاعلها، ومنع فاعلها من الهداية، والحرمان من قبول العمل وحبوطه.

ثانيا: أهم التوصيات:

1- يوصي الباحث بدراسة أساليب القرآن الكريم في الترغيب في الفضائل.

2- دراسة أساليب السنة النبوية في التنفير من الرذائل.

3- دراسة أساليب السنة النبوية في الترغيب في الفضائل.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

1. *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان،* ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ.
2. *أحكام القرآن، ابن العربي*، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ.
3. *الأدب المفرد*، البخاري، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ.
4. *الاستيعاب في بيان الأسباب* (أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم)، سليم الهلالي و محمد آل نصر، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1425هـ.
5. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.م، د.ن، د.ط، د.ت.
6. *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*، الشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، د.م، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ.
7. *أساس البلاغة*، الزمخشري، تحقيق: محمد السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
8. *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض وعادل عبدالموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
9. *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*، الفوزان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1423هـ.
10. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط8، 1425هـ-2005م.
11. *الأسلوب دارسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية*، الشايب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1411هـ-1991م.
12. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، الشنقيطي، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1415هـ.
13. *الأعلام*، الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
14. *الأمثال في القرآن*، ابن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم بن محمد، مصر، مكتبة الصحابة، ط1، 1406هـ - 1986م.

15. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.
16. *البحر المحيط في التفسير*، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1420هـ.
17. *بدائع الفوائد*، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
18. *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، عبد الفتاح القاضي، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت.
19. *البرهان في أصول الفقه*، الجويني، تحقيق: صلاح عويضة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1418 هـ - 1997 م.
20. *البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني*، عباس، الأردن، دار الفرقان، ط4،1417هـ-1997م.
21. *تاج العروس من جواهر القاموس*، مرتضى، د.م، دار الهداية، د.ط، د.ت.
22. *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*، الذهبي، تحقيق: بشار معروف، د.م، د.ن، ط1، 2003م.
23. *تأويلات أهل السنة*، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ - 2005 م.
24. *التحرير والتنوير*، الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية، د.ط، 1984هـ.
25. *التعريفات*، الجرجاني، تحقيق: محمد السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1983م.
26. *تفسير ابن رجب الحنبلي*، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق محمد، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، ط1، 1422هـ - 2001 م.
27. *تفسير أسماء الله الحسنى*، الزجاج، تحقيق: أحمد الدقاق، دمشق، دار الأمون للتراث، ط5، 1406هـ -1986م.
28. *تفسير آيات الأحكام*، الصابوني، مدينة نصر، دار الصابوني، ط1، 2007م.
29. *التفسير البسيط*، الواحدي، تحقيق: محمد الفوزان وآخرون، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
30. *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق محمد بسيوني وآخرون، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ط1، 1422هـ-2001م.
31. *تفسير الشعراوي*، الشعراوي، د.م، مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت.

32. *تفسير القرآن العزيز*، ابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين عكاشة ومحمد الكنز، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ - 2002م.
33. *تفسير القرآن العظيم*، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، د.م، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
34. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، الزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط2، 1424هـ-2003م.
35. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مصر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1413هـ - 1992 م.
36. *التفسير الوسيط*، الزحيلي، دمشق، دار الفكر، ط1، 1422هـ.
37. *التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد*، البسيلي، تحقيق: عبدالله الطوالة، د.م، د.ن، ط1، 1412هـ-1992م.
38. *تلبيس إبليس*، ابن الجوزي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1421هـ - 2001م.
39. *تهذيب اللغة*، الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.
40. *التوقيف على مهمات التعاريف*، المناوي، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ-1990م.
41. *تيسير الكريم الرحمن*، السعدي، تحقيق: عبدالله اللويحق، د.م، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000 م.
42. *التيسير في أحاديث التفسير*، الناصري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1405هـ - 1985 م.
43. جامع *البيان في تأويل القرآن*، الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، د.م، دار هجر، ط1، 1422هـ - 2001 م.
44. جامع *العلوم في اصطلاحات الفنون*، الأحمد نكري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ - 2000م.
45. *الجامع لأحكام القرآن*، القرطبي، تحقيق: عبدالله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م.
46. حاشية *السيوطي على تفسير البيضاوي*، السيوطي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، د.ط، 1424هـ - 2005م.

47. *الحجة في القراءات السبع*، ابن خالويه، تحقيق: عبد العال مكرم، بيروت، دار الشروق، ط4، 1401هـ.
48. *الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة*، زكريا الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411هـ.
49. *خطوات الشيطان*، إبراهيم الحقيل، تاريخ الاطلاع: 22 سبتمبر 2017م، الموقع: صيد الفوائد (http://www.saaid.net).
50. *دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر*، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق القسم الأول: طلعت الفرحان، تحقيق القسم الثاني: محمد أديب شكور، عمان، دار الفكر، ط1، 1430هـ-2009م.
51. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، د.ط، د.ت.
52. *الدفاع عن البلاغة*، الزيات، القاهرة، عالم الكتب، ط2، 1967م.
53. *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، القاهر، مطبعة المدني، ط3، 1413هـ - 1992م.
54. *روائع البيان تفسير آيات الأحكام*، الصابوني، دمشق، مكتبة الغزالي، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، ط3، 1400هـ-1980م.
55. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، الألوسي، تحقيق: علي عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
56. *زهرة التفاسير*، أبو زهرة، د.م، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
57. *السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير*، الشربيني، القاهرة، مطبعة بولاق (الأميرية)، د.ط، 1285هـ.
58. *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ - 1995م.
59. *سنن ابن ماجة*: ابن ماجة، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط وآخرون، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م.
60. *سنن أبي داوود*: أبو داوود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط و محَمَّد بللي، د.م، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ-2009م.

61. *سنن الترمذي*: الترمذي، تحقيق: بشار معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م.
62. *السنن الكبرى*: البيهيقي، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ- 2003م.
63. *السنن الكبرى*: النسائي، تحقيق: حسن شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.
64. *السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار*، الشوكاني، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1425هـ-2004م.
65. *الشرح الممتع على زاد المستقنع*، ابن العثيمين، تحقيق: عمر الحفيان، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ.
66. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، الفارابي، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ1987م.
67. صحيح *الأدب المفرد*، الألباني، المملكة العربية السعودية، مكتبة الدليل، ط4، 1418هـ - 1997م.
68. صحيح *البخاري*: البخاري، تحقيق: محمد الناصر، د.م، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
69. صحيح *سنن ابن ماجة*، الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1417هـ-1997م.
70. صحيح *سنن الترمذي*، الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1420هـ-2000م.
71. صحيح *مسلم*: مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1412هـ-1991م.
72. *صفوة التفاسير*، الصابوني، دار الصابوني، مدينة نصر، ط10، د.ت.
73. *ضعيف الجامع الصغير وزيادته*، الألباني، د.م، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.
74. *العُدَّة في أصول الفقه*، القاضي أبو يعلى، تحقيق: د أحمد المباركي، د.م، د.ن، ط2، 1410هـ - 1990م.
75. غريب *الحديث*، ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ - 1985م.
76. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ابن حجر، تحقيق: محمد عبدالباقي، د.م، المكتبة السلفية، د.ط، د.ت.

77. *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، أبو الطيب، تحقيق: عَبد الله الأنصَاري، بَيروت، المَكتبة العصريَّة، د.ط، 1412هـ - 1992م.
78. *فتح القدير*، الشوكاني، دمشق، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ.
79. *في ظلال القرآن*، سيد قطب، مدينة نصر، دار الشروق، ط39، 1432هـ-2011م.
80. *القول المفيد على كتاب التوحيد*، ابن العثيمين، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط2، 1424هـ.
81. *الكشاف*، الزمخشري، تحقيق: محمد محمد، القاهر، المكتبة التوفيقية، ط1، 2012م.
82. *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، د.ت.
83. *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ-1998م.
84. *لباب التأويل في معاني التنزيل*، الخازن، تحقيق: محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.
85. *اللباب في علوم الكتاب*، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ -1998م.
86. *لسان العرب*، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.
87. *مباحث في علوم القرآن*، القطان، الرياض، مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ- 2000م.
88. مجمل *اللغة*، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ-1986م.
89. مجموع *الفتاوى*، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،د.ط، 1416هـ-1995م
90. *محاسن التأويل*، القاسمي، تحقيق: محمد السود، بيروت، دار الكتب العلميه، ط1، 1418هـ.
91. *المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية*، المزيني، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1427هـ - 2006م.
92. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ.

93. *المحكم والمحيط الأعظم*، ابن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ – 2000م.
94. *المحيط في اللغة*، الصاحب ابن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1414هـ–1994م.
95. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416 هـ – 1996م.
96. *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ – 1998م.
97. *المستدرك على الصحيحين*، أبو عبدالله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411 – 1990.
98. مسند *الإمام أحمد بن حنبل*، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1416هـ – 1995م.
99. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أبوالعباس، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.
100. *معاني القرآن*، الفراء، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت.
101. *معاني القرآن وإعرابه*، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1408هـ – 1988م.
102. معجم *اللغة العربية المعاصرة*، عمر، د.م، عالم الكتب، ط1، 1429هـ – 2008م.
103. *المعجم الوسيط*، مصطفى وآخرون، د.م، دار الدعوة، د.ن، د.ت.
104. معجم *مقاليد العلوم*، السيوطي، تحقيق: محمد عبادة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 1424هـ – 2004م.
105. *مفاتيح العلوم*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د.م، دار الكتاب العربي، ط2، د.ت.
106. *مفاتيح الغيب*، الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.
107. *المفردات في غريب القرآن*، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.
108. *مناهل العرفان في علوم القرآن*، الزرقاني، تحقيق: أحمد بن علي، القاهرة، دار الحديث، د.ط، 1422هـ–2001م.

109. *الموسوعة الفقهية الكويتية*، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مصر، الأجزاء(24–38) دار الصفوة، الطبعة الأولى، 1412هـ–1992م.

110. *الموسوعة القرآنية*، الأبياري، د.م، مؤسسة سجل العرب، د.ط، 1405هـ.

111. *النشر في القراءات العشر*، ابن الجزري، تحقيق: علي الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

112. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

113. *نفحات من علوم القرآن*، محمد معبد، القاهرة، دار السلام، ط2، 1426هـ – 2005 م.

114. *نيل الأوطار*، الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، دار الحديث، ط1، 1413هـ – 1993م.

115. الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، *تحقيق: محمد عثمان، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ 2007م.*

116. الورقات، الجويني، تحقيق: عبد اللطيف العبد، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط1، 1397هـ–1977م.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

أولا: فهرس الآيات القرآنية

19	﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	264	160
20	﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾	268	31
21	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	278–279	135
	سورة آل عمران		
22	﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	57	155
23	﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	85	57،166
24	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ (٩٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١)﴾	91–90	169
25	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ (١١٨) هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (١٢٠)﴾	118–120	109
	سورة النساء		
26	﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	82	13
27	﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾	20	93
28	﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾	148	155
29	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾	10	124
30	﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾	22	41
31	﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾	18	172
32	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾	43	21
33	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ	168–169	160

	﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾		
34	﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾	119	58
35	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	36	157
	سورة المائدة		
36	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾	3	89
37	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	5	178
38	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	10	127
39	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	27	165
40	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	38	117
41	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾	54	140
42	﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	63-62	37
43	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	90	17،107
44	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾	91	18،105،107
	سورة الأنعام		
45	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	21	69
46	﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾	38	68
47	﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	88	174
48	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾	-151 152	27
49	﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾	145	45
50	﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾	145	89

سورة الأعراف			
51	﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	31	155
52	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	33	90
53	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾	85	152
54	﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾	147	178
55	﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾	157	53
56	﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	178	159
سورة التوبة			
57	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾	17	178
58	﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	39	140
59	﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	71	130
60	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾	54	166
61	﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾	54–53	166
62	﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾	80	167
سورة يوسف			
63	﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾	52	160
64	﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾	76	120
65	﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	111	146
سورة النحل			
66	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ	90	98

	﴿وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾		
	سورة الإسراء		
67	﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩)﴾	39-22	82
68	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾	31	27
69	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾	32	25،26
	سورة طه		
70	﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾]	111	62
	سورة الحج		
71	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾	30	17،43
72	﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	30	23
73	﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	31	76
	سورة المؤمنون		
74	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	1	66،69
75	﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾	61	165
76	﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾	117	67

77	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾	60	165
	سور النور		
78	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	2	119،120
79	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	5	51
80	﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾	12	75
81	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	21	30
82	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	23	49
	سورة الشعراء		
83	﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)﴾	176-189	149
	سورة العنكبوت		
84	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾	45	100
	سورة لقمان		
85	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	63،64،161
	سورة الأحزاب		
86	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾	58	65
	سورة فاطر		
87	﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	6	31،60
88	﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾	6	60
89	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾	6	60
90	﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾	8	159
	سورة يس		

91	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	60	31
	سورة ص		
92	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	82	30
	سورة الزمر		
93	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾	3	162
94	﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	15	56،57
95	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	27	73
96	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	65	175
	سورة غافر		
97	﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	35	128
	سورة فصلت		
98	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾	16–15	146
99	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾	17	159
	سورة الشورى		
100	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	11	154
	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾	25	171
	سورة الزخرف		
101	﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	62	31
	سورة محمد		
102	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾	9	175
103	﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾	17	160
104	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾	32	175
105	﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	38	142
	سورة الحجرات		
106	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا	12	73

	أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾		
	سورة المجادلة		
107	﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	10	31
	سورة الصف		
108	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (1) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾	2-1	130
109	﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾	3	130
110	﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾	5	172
	سورة الملك		
111	﴿ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	11	77
112	﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	27	63
	سورة الشمس		
113	﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾	10	65

ثانيا: فهرس أطراف الحديث:

		والسنن الكبرى للبيهقي		
24	هَذَا وَأَصْحَابُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الإِيمَانُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا	سنن الترمذي	صحيح	143
25	يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّار	صحيح مسلم	صحيح	132

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم: